مجلة شهرية

Issue No: 119 عدد:

July 2017 شهر تموز

نــــور المســيــح

يسوع المسيح الغالب

ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org




# الرسل الأطهار

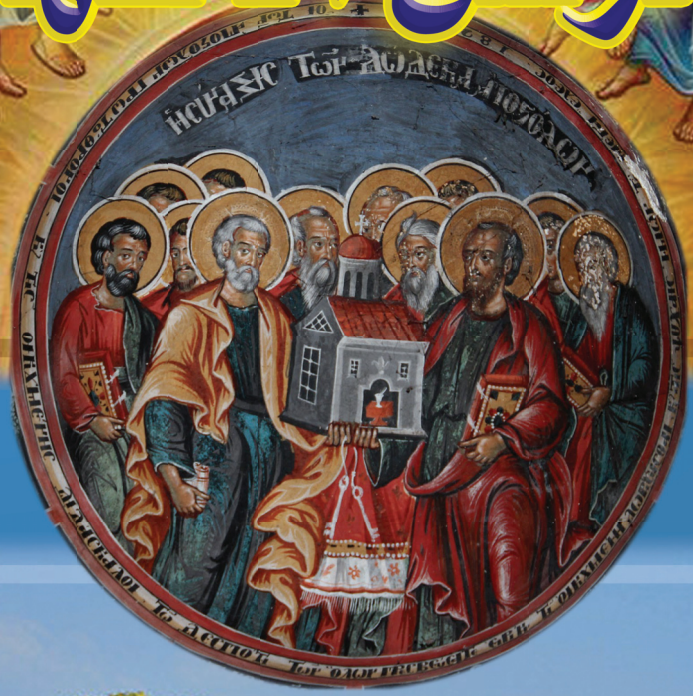



لقد أُرسلتم الى العالَم اجمع مثل شُهبٍ ساطعة الضياء بالروح القدس

يا خَدَمة الاسرار الكلّيي السعادة.

تمنحون الناس مفاعيل صنع العجائب بسخاءٍ.

فإنَّكم أصبحتم خدَّامًا لاسرار المسيح، والواحًا للنعمة الإلهيّة

كتبها الله ونقش عليها شريعتهُ الالهية.

# محتويات العدد


| | |
|---|---|
| 2 | الغنى والفقر |
| 3 | كلمة غبطة البطريك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث |
| 4 | النُّسك في حياة الرهبنة القديس باسيليوس |
| 5 | الانسان العقلاني للقديس أنطونيوس الكبير |
| 6 | أكرم أباك وأمّك |
| 7 | رسالة الزلزال |
| 9 | افتحت أعينهما وعرفاه. |
| 11 | الشهداء الحقيقيون |
| 12 | موقف المسيحي إزاء الموت |
| 17 | دستور الإيمان للقديس نكتاريوس |
| 19 | فتشوا الكتب تفاسير الإنجيل |
| 20 | جزنا بالنّار والماء القديس پاييسيوس |
| 21 | العهد القديم ١٠٢ |
| 20 | متفرقات |
| 21 | متفرقات |
| 22 | ---------- |
| 22 | القديس نكتاريوس |
| 23 | الأرثوذكسية قانون إيمان |
| 24 | العظات الثماني عشرة |



**توزّعُ هذه المجلة مجانًا**

**جمعية نور المسيح**

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح


# الغنى والفقر عند القديس يوحنا الذهبي الفم

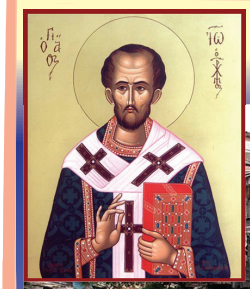



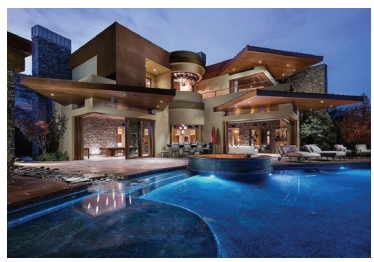

† الطمع كالخميرة الفاسدة التي تفسد العجين كله.

† لماذا تهين الرب وانت تقدم له تقدمات صغيرة؟ مثل هذا الطعام لا يقبله حتى لو كان يموت جوعًا الافضل ألّا تعطيه شيئا بدلًا من أن تعطيه أشياء تخص الآخرين.

† قل لي ان رأيت انسانين، احدهما عريانًا والآخر مكسوًا، فجردت الثاني لتكسو الاول، ألا تكون ترتكب ظلمًا ؟ بلا شك نعم. اذًا ان ارتكبت ظلمًا وليس احسانًا وانت تعطي الآخر كل ما سلبت، فكيف تعتبره احسانًا بان تعطي جزءًا تافهًا، لا شيء ؟

† ان حُكم مع الشيطان في النار الابدية على كل الذين لم يعطوا طعامًا وماءً للمسيح عندما كان جائعًا وعطشانًا، فماذا سيحدث لأولئك الذين يعطونه في جوعه مما سرقوه؟.

† ان الغنى بالنسبة الى محب المال كالسكين بالنسبة الى المجنون، او ربما أسوأ لان المجنون عندما يخطف السكين ويغرزه في صدره يتحرر من جنونه الى الأبد، ولا يتلقى جرحًا آخر. لكن محب المال يتقبل جراحًا لا تحصى يوميًا ولا يتحرّر من جنونه ابدًا .بل على العكس، فهو كلّما جُرِحَ، غرز السكين ثانية في نفسه بجنون.

† ان الطمع يجعل الناس وحوشًا وشياطين ؟

† «محتكر الحنطة يلعنه الشعب» (امثال ١١: ٢٦).

† ايها المتفلسف الطمّاع ؟... ألا ترى النحلة تعمل كل حياتها بامانة منتجةً العسل الحلو والمفيد، فطول حياتها تفعل الخير، لكنها عندما تعمل شرًا وَتَخِزُ انسانًا او حيوانًا تموت مع وخزتها.تعلّم انت من النحلة ألّا تؤذي القريب لانّك ستموت انت أولًا، ستؤذي القريب وستحزنه لفترة موقتة لكنك ستموت انت للابد .

† الحقيقة هي انك بجمعك للثروة تسعى الى ارضاء رغبتين من رغباتك: هما الغرور واللذة .آمنت بهذا أم لا، فالجحيم الابدية تنتظرك ان لم تتب وتصطلح ، لان الله العادل الذي «سيجازي كل واحد حسب أعماله» ...

† وكيف لا تسبّب غضب الله عندما تبذّر اموالك على البغاء من جهة، ومن الناحية الاخرى لا تبالي بالفقراء. وحتى لو بدّدت اموالك التي كسبتها بتعبك تكون خاطئًا جدًّا، عندما تبتاع بها الرذيلة. تخيّل كم تُخطئُ الآن وانت تشتريها بربح محرم .

† يميز **القديس يوحنا الذهبي الفم** بين مجموعتين من الممتلكات، الممتلكات العامة قدمها الله لكل البشرية بلا ملكية خاصة كالهواء والشمس والمياه.. وهي امور اساسية وضرورية للحياة، ليس لاحد ان يدعي ملكيته الخاصة لها. اما الامور غير الضرورية فسمح ان تكون ملكية خاصة كالذهب والفضة والحجارة الثمينة... حتى يمارس الاغنياء حبهم للفقراء، ويقدم الفقراء شكرهم للاغنياء.

# كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

## كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

# بمناسبة عيد الرسل الإثني عشر القديسين الأطهار

فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ، فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ.وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ». آمِينَ. (متى ٢٨ :١٨-٢٠)

**أيها الإخوة المحبوبون المسيحيون،**

**أيها الزوار المسيحيون الحسنو العبادة،**

لقد أشرقَ عيدٌ بهيج على شاطئ بحيرة طبريا حيث أظهر يسوع المسيح نفسهُ لتلاميذه. إن هذا العيد وهذا الحدث البهيج يعود إلى الأمس ويرتبط به، ألا وهو عيد هامتي الرسل بطرس وبولس عند ساحل كفرناحوم.

وأما اليوم فهو عيدٌ جامع للرسل الاثني عشر القديسين المجيدين الأطهار، في هذا المكان المقدس الذي وطئته قدما ربنا ومخلصنا يسوع المسيح.

إنَّ كنيسة المسيح المقدسة تُكرِّم بشكلٍ خاص الرسل القديسين، أي تلاميذ المسيح لأنّهم من جهةٍ أصبحوا شهودًا بأعينهم وآذانهم على كلمة الله المتجسد، ومن جهة أخرى لأنهم أخذوا الروح القدس وقَبِلوه «وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ: اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ.» (يوحنا ٢٠ :٢٢) وأُرسِلوا إلى أقاصي المسكونة لكي ينشروا إنجيل الحقيقة والنور ويُذيعوه. «فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: سَلاَمٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا. وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ: اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ.مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ». (يوحنا ٢٠ :٢١-٢٣).

وبحسب شهادة القديس متى الإنجيلي فإنَّ يسوع «دَعَا تَلاَمِيذَهُ الاثْنَيْ عَشَرَ وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا عَلَى أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ حَتَّى يُخْرِجُوهَا، وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ.» (متى ١٠ : ١).

إنَّ الروح القدس والسلطان الذي أخَذهُ التلاميذ على طرد الأرواح الشريرة وشفاءَ كُلَّ مرضٍ وكُلَّ ضُعفٍ يشكِّلُ الخصائصَ والملامح المعروفة للرتبة الرسولية والتي تأسس عليها من بعدهم خلفاؤهم من الأساقفة ورعاة الكنائس.

وكما يقول القديس كليمص الرومي:

لقد كان للرسل القديسين الإرشاد من الروح القدس لكي يذيعوا البشارة، وينشروها ويخبروا بأنه قد اقترب ملكوت السماوات في المدن والبلدان، وكل الذين سمعوا وأطاعوا مشيئة الله فبعد أن امتحنهم الرسل عمدوهم وقدموهم بواكير لله، وساموهم أساقفة لكي يخدموا هم بدورهم أيضًا أولئك المزمعين أن يؤمنوا فيما بعد.

وبمعنى آخر إنّ القديسين هم الأساس الذي بُنيت الكنائس عليه وشيدت وسِيمَ فيها أساقفةٌ وخدامٌ كما يقول مرتل الكنيسة: «فيما أنت ابن الله بالطبع. أيها الإله السيّد الفائق الصلاح. تبنَّيت تلاميذك أولًا. ثم جعلتهم وَرَثَةً بالوضع للميراث الأبويّ. وارتضيت بأن يجالسوك».

ويُشير القديس بولس الرسول إلى المصالحة والاتحاد الذي تمّ من الله الآب في يسوع المسيح بين الأمم واليهود مُوضِّحًا ومشددًا على أنّ عمل الرسل القديسين الاثني عشر في مؤسسة الكنيسة، كان من خلال الروح القدس وبالاستنارة منه إذ يقول:«لأَنَّ بِهِ لَنَا كِلَيْنَا قُدُومًا فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الآبِ. فَلَسْتُمْ إِذًا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلًا، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ، مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّبًا مَعًا، يَنْمُو هَيْكَلًا مُقَدَّسًا فِي الرَّبِّ.» (أفسس ٢ :١٨-٢١).

حقًا يا إخوتي إن الرسل القديسين هم أولئك الذين أرسوا قواعد الإدارة ونظام السلطة في الكنيسة وذلك عبر المجمع الذي حصل في أورشليم بارشاد **القديس يعقوب أخو الرب** «فَاجْتَمَعَ الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ لِيَنْظُرُوا فِي هذَا الأَمْرِ.» والمقصود (في هذَا الأَمْرِ) أي تلك الأمور العالقة والتي ظهرت حديثاً وقد أخذ المجمع الأول المنعقد في أورشليم على عاتقهِ حل هذه الأمور العالقة (أعمال ١٥ : ٦).

لقد كان الروح القدس هو الذي يُحرك الرسل القديسين وباستنارة الروح القدس خطّوا ونقشوا عقائد الكنيسة التي هي صحة الإيمان (تيطس ١ : ١٣) وكما يشهد سفر أعمال الرسل رَأَيْنَا وَقَدْ صِرْنَا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ (أعمال ١٥ : ٢٥) وأيضًا لأَنَّهُ قَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ (أعمال ١٥ : ٢٨).

فها قد عرفنا لماذا يدعو الحكيم بولس الرسول الرسل القديسين بأنهم الأساس، وأنّ ربنا يسوع المسيح نفسه هو حجر الزاوية وهذا ما يؤكده ناظِم تسابيحِ الرسل القديسين إذ يقول:

«لقد اقتبلتم جميعًا أيها الحكماءُ نور الروح القدس كلَّه. ظاهرًا فيكم ظهورًا جوهريًا في العليّة. فتلقنتم **أيها الرسل** أسرار التعليم السامي. فتُغبَّطون الآن عن استحقاق».

إنّ من نكرمهم اليوم من الرسل القديسين وبالأخص هامتي الرسل بطرس وبولس اللذين أصبحا صيادي الناس، فهما يدعواننا مع الرسل القديسين أنّ نصيرَ عاملين مستحقين في كرم ربنا يسوع المسيح الخلاصي بشفاعات سيدتنا والدة الإله، الفائقة البركات الدائمة البتولية مريم ونتضرع ختامًا إلى حجر زاوية الكنيسة، أي ربنا ومخلصنا يسوع المسيح ومع ناظم تسابيحِ الرسل القديسين نقول:

أطلق لساني يا مخلّصي. ووسع فمي واملأْهُ كلامًا. وأفعم قلبي خشوعًا. حتى أتّبع ما أقول. وأعمل أنا أولًا بما أعلّم. فقد قيل أنّ من يعمل ويُعلم فذاك يكون عظيمًا. فإني إن كنتُ أقول ولا أعمل بما أقول أُحسَب كنُحَاسٍ يطنُّ. فلذلك امنحني أن أنطق بما يجب وأعملَ بما يوافق. يا متفرّدًا بمعرفة خفايا القلوب.

آمين.

**وكل عام وانتم بخير**

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

# النُسك في حياة الرهبنة للقديس باسيليوس الكبير

## عن فوائد المجمع – تتمة

**٩)** .... والمسيح السيّد لم يعلّم التواضع بالكلام فقط، بل قام بتكميله بالفعل، فأتَزَرَ بمنديلٍ وغسَل أرجل تلاميذه. وأنتَ تغسل أرجل مَن ؟ أو تصنع خيرًا لمن؟ أو تكون أحقر ممّن إذا كنتَ متوحدًا ؟!.

وكيف ينطبق عليك المكتوب: «ما أحسن وما أحلى أن يجتمع الأخوة معًا». فقد شبّههم الروح القدس «بالطيب» الكائن على رأس هارون رئيس الكهنة (مز ١٣٢).

**١٠)** فميدان الجهاد النُسكي ، والسلوك في معارج الفضيلة، والتدريب الدائم في وصايا الله، يتألّق من خلال شَركة الأخوة بعضهم مع بعض، عندها يتمجّد الله فيهم، ويُكمل فيهم قول المسيح : «ليكن نوركم مضيئًا – قدّام الناس – ليروا اعمالكم الحسنة، ويمجّدوا أباكم الذي في السموات» (مت٥:١٦).

وهم يشبهون الذين كُتِبَ عنهم في أعمال الرسل: «إنّ كل الذين آمنوا، كان لهم اتفاق (رأي) واحد. وكل شيء كان لهم جميعًا. وأيضًا: «إنّ الذين آمنوا بقلبٍ واحد ونفسٍ واحدة، ولم يكن أحد يقول عن شيء إنّه له، بل كلّ شيء كان له بشركة (مشتركًا) ... (أع ٢:٤٤ و ٤:٣٢).

## مبدأ رفض الانسان الروحي لممتلكاته

**١)** يجب أن يرفض الناسك (**الراهب**) كل ما له، وبعد ذلك يتقدّم إلى الجهاد في الفضائل.

**٢)** وهو ما أكّده الربّ: «إذا لم يرفض (يترك) الواحد منكم كل ماله، لا يستطيع أن يكون لي تلميذًا».

**٣)** وقبل كل شيء يجب علينا نحن الذين تركنا عنا خفايا الفضائل (**الشرور القبيحة**) أن نرفض إبليس وكل أعماله (**الشهوات**) وبعد هذا نرفض الجسد وآلامه (**لذّاته**) والأقرباء بالجسد، وكذلك تركُ مصادقة الناس (**أهل العالم**) وكل عادة تُضاد بشارة الخلاص (خلاص النفس).

**٤)** والأمر الضروري بالأكثر أن ينكر الشخص ذاته، ويترك الانسان العتيق واعماله (**الحياة السابقة للتوبة**) ويرفض أمور هذا العالم التي تُغيّر صورة العبادة، والذي صُلِبَ للعالم من أجل المسيح، وَصُلِبَ العالم له، كيف يقدر مرّة أخرى أن يتعبّد لشيء (**ماديّ**) من أمور هذا العالم.

وجاء في تعليم ربنا: «من يريد أن يتبعني فلينكر نفسه ويحمل صليبه» (مت ١٦:٢٤). وأضاف الرب يسوع قائلًا: «وحينئذٍ يتبعني».

وقال أيضًا: «من يأتي إليَّ ولا يُبغض أباه وأمّه وزوجته وأخواته، وأيضًا نفسه، لا يستطيع أن يكون لي تلميذًا» (لو١٤:٢٦) أي يجب أن تكون محبّة الله أكثر من محبتنا للأقارب والأهل.

# الإنسان العقلاني

## بحسب القديس أنطونيوس

د. قسطنطين كافارنوس

**القديس أنطونيوس** (٢٥٠-٣٥٦) هو أحد أكبر معلمي الحياة الروحية في المسيحية الشرقية، وقد تمتّع بأعلى درجات الاحترام لدى مسيحيي الشرق منذ زمانه حتى الحاضر. أحد أبرز محبّيه كان **القديس أثناسيوس** الذي عرفه شخصيًا وكتب سيرته التي هي أهمّ مصادر ما نعرف عنه. من محبيه البارزين أيضًا القديس مكاريوس مطران كورنثوس (١٧٣١-١٨٠٥) والقديس نيقوديموس الأثوسي (١٧٤٨-١٨٠٩) اللذان أدرجا في مطلع **الفيلوكاليا**، التي جمعاها ونقحاها وطبعاها سنة ١٧٨٢، عملًا يحتوي الكثير من الأقوال والملاحظات التي نُسبَت إلى **القديس أنطونيوس**.

بالرغم من أنه كان أميًّا، صار القديس أنطونيوس رجلًا ذا حكمة وفهم روحيين مميّزين، قادرًا على تعليم الآخرين بكلمة الفم في ما يتعلّق بخليقة الله وتدبيره ونعمته، وفي ما يختصّ بالطبيعة والمصير البشريين، والسبل التي تؤدّي بالإنسان إلى الكمال الشخصي والخلاص. أجزاء من تعليمه، بما فيها تلك التي يحويها العمل المذكور أعلاه، سجّلها آخرون ممن استمعوا إليه وتأثروا بقيمته وذلك للتذكير بشخصية الناس والحياة الفاضلة. الكثير من الأفكار المميزة محتواة في مجموعة الأقوال هذه. إحدى هذه الأفكار هي «الإنسان العقلاني». قد قيل الكثير عن هذا الموضوع بشكل مبعثر وليس في جزء محدّد منفصل. وإذ أتمنّى أن أقدّم تعليم القديس أنطونيوس حول هذا الموضوع بشكل دقيق ومعبّر قدر الإمكان، فقد ترجمتُ المقاطع المعنيّة عن النص اليوناني الموجود في الفيلوكاليا، وجمعتها بنفس التسلسل الذي يظهر في هذا العمل، وقدّمتها كما يلي مع بعض الملاحظات التفسيرية.

الإنسان العقلاني عند القديس أنطونيوس ليس المتعلّم ولا الباحث، ولا المفكّر المجادل أو المتأمل. إنه الإنسان المتمحور حول الله، الذي يوجّه كلّ فكره وطموحه نحو الله، الذي **تحوَّلَ** بشكل قاطع عن **الأرضي والمؤقّت** نحو **السماوي والأبدي**؛ الذي يختار الصلاح ويعمله ويتحاشَى الشرّ، أو أقلّه يسعى بشكل واعٍ إلى ذلك. إنّه الرجل الذي غيّر داخله بشكل جذري.

المِلَكة العقلانية بالنسبة للقديس أنطونيوس أي الصفة المميّزة للإنسان، هي ما يفرّقه عن البهائم ويجعله قريبًا من الله ويوحّده به. يفهم هذه المِلَكة على أنها قبل كل شيء قوة فهم القِيَم، تمييز الخير عن الشرّ، تنظيم حياة الإنسان الداخلية والخارجية، مع الرغبة في اكتساب أو صنع ما هو صالح وتجنّب أو تخطي الشر، والتأمّل بالله. بتعبير آخر، إن مهمة العقل التي تُعتَبَر مهمّة ليست التحزرية بل الأخلاقية، ولا الخطابية بل البديهية والتأملية.

تحضر هذه المِلَكة بحسب قديسنا في أغلب الناس بحالة كامنة غير ناشطة، ميتة كأخلاقية وقوة تأملية. الناس، بدلًا من أن يحكمهم العقل، تسيطر عليهم الرغبات غير العقلانية، وبدلًا من أن يكون اتجاههم، كما ينبغي أن يكونوا، إلى الأبدي والإلهي، فهم غارقون في الوقتي والمادي. إن نفوسهم في حالة من الظلام مجردةً من النور الإلهي. هذا يتبعه أنهم ، بالمعنى الدقيق للكلمة، ليسوا بشرًا. وحده الإنسان العقلاني، صاحب المِلَكة العقلانية الناشطة العاملة هو إنسان بالمعنى الدقيق للكلمة.

واضح أن الإنسان العقلاني عند القديس أنطونيوس ليس إلّا إنسان الرسول بولس الجديد (روما ٢:١٢)، أي المتصوّف المسيحي، القديس، أو مَن هو على الطريق ليكون كذلك.

قد يبدو تعليم القديس أنطونيوس غريبًا بالنسبة للكثيرين من المسيحيين غير الأرثوذكسيين لأن المسيحية الغربية مالت إلى نفي العقل من الحياة الروحية أو أقلّه إلى تقليص دوره. من جهة أخرى، الأرثوذكسيون المتآلفون مع تقليدهم الطويل، سوف يجدون أن هذا تعليمهم وموقفهم التقليدي معبَّرًا عنه بطريقة مؤكّدة واضحة.

# أكرم أباك وأمّك

## للقديس

## كيرلّس الإسكندري

«أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ.» (خر ٢٠: ١٢)

إلى جانب إكرام الله، وَضَعَ مباشرة وصية إكرام الأب والأم معًا، فمن خلالهما أتينا إلى الوجود بإرادة الله، لذلك فإن لهم مكانة ثانية بعد الخالق. هكذا كل واحد من الوالدين هو بالنسبة لطفله يكون أصل ولادته ومصدر مجيئه إلى الوجود. إذن، فحسب مثال الخالق يتمثل العمل المشترك بين الأب والأم في قدوم كل البشر إلى الوجود. لهذا أمر الناموس أن تُعطى كرامة عظيمة لهما، وأكد على أن الذين يكرمونهما سوف ينالون كرامة عظيمة، وبالعكس الذين لا يكرمونهما سوف ينالون جزاءً مؤلمًا، فالتصرف المهذب والموقر يتوّج صاحبه بالكرامات، بينما التصرف غير الحسن يُحمّله بالآم ومشقات ومصاعب أخرى في الحياة، لأنه يقول: «أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ.» (خر ٢٠: ١٢).

إذن فهناك مكافأة عظيمة للذين يكرّمون الوالدين في هذه الحياة وتمتد لأزمنة طويلة، وحُكم الناموس بالموت على الشاتمين مخيفًا إياهم، كمربٍ يقودهم نحو الصواب. لأنه يقول أيضًا: «وَمَنْ ضَرَبَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلاً.» (خر ٢١).

انتبه إذًا، فإن من يرتكب الخطيئة تجاه الوالدين يعاقب بنفس جزاء من يرتكب خطيئة ضد الله، وهنا يضع حقوق الوالدين بجوار حقوق الله، بمعنى أن اللسان الخاطئ ضد الله يُعاقب بالموت بغضب شديد، هكذا نفس الأمر يصير مع الوالدين. وإن نقض أحد الوصية الإلهية وأحزن المُربي بمخالفته فإنه يموت.

هكذا إذن إن لم يضع الإنسان في حسابه وصايا أبيه أو أمه، يموت بالرجم، كما أمر الناموس الإلهي، إذ يقول سفر التثنية: ««إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ ابْنٌ مُعَانِدٌ وَمَارِدٌ لاَ يَسْمَعُ لِقَوْلِ أَبِيهِ وَلاَ لِقَوْلِ أُمِّهِ، وَيُؤَدِّبَانِهِ فَلاَ يَسْمَعُ لَهُمَا. يُمْسِكُهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَيَأْتِيَانِ بِهِ إِلَى شُيُوخِ مَدِينَتِهِ وَإِلَى بَابِ مَكَانِهِ، وَيَقُولاَنِ لِشُيُوخِ مَدِينَتِهِ: ابْنُنَا هَذَا مُعَانِدٌ وَمَارِدٌ لا يَسْمَعُ لِقَوْلِنَا وَهُوَ مُسْرِفٌ وَسِكِّيرٌ. فَيَرْجُمُهُ جَمِيعُ رِجَالِ مَدِينَتِهِ بِحِجَارَةٍ حَتَّى يَمُوتَ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ بَيْنِكُمْ، وَيَسْمَعُ كُلُّ إِسْرَائِيلَ وَيَخَافُونَ.» (تث ٢١).

هل بعد هذا نتردد في أن نعتبر أن كرامة الأب والأم تقترب من كرامة الله؟

بالطبع لا، لأن الناموس اقنعنا بأنه يجب أن نكرمهما، والسبب الذي قاله سبب شخصي: «أُذكر أنك بهما كُونتَ» (حك ٧: ٣٠). ويعقوب البطريرك أبو الآباء يقول بالصواب: «لَوْلاَ أَنَّ إِلهَ أَبِي إِلهَ إِبْرَاهِيمَ وَهَيْبَةَ إِسْحَاقَ كَانَ مَعِي، لَكُنْتَ الآنَ قَدْ صَرَفْتَنِي فَارِغًا.» (تك ٣١).

وكوننا نقول أننا قد وُلدنا منهما، ألا يبرهن هذا بوضوح أن هذه هي أيقونة الخالق، الذي يدعو غير الموجود إلى الوجود؟ وأنه يجب أن نكرمهما ونهابهما، ألا يبدو أنه وضع لهما نفس مكانة ومنزلة الرتبة الربانية؟

بالتأكيد. لذلك كان سفر الأمثال يلعن البعض قائلًا: «اَلْعَيْنُ الْمُسْتَهْزِئَةُ بِأَبِيهَا، وَالْمُحْتَقِرَةُ إِطَاعَةَ أُمِّهَا، تَقْوِّرُهَا غُرْبَانُ الْوَادِي، وَتَأْكُلُهَا فِرَاخُ النَّسْرِ.» (أم ٣٠).

كيف يفهم المرء إذًا قول المخلص: « مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي؟» (مت ١٠)، ألا يبدو أنه يبعدنا عن توقير الوالدين؟

كلام المخلص لا يبعدنا إطلاقًا عن احترام الوالدين، لكن يعلمنا أن احترام الله يسبق ويفوق احترام الوالدين. ونحن نعتبر احترام الوالدين مرتبطًا بالاحترام اللائق بالله، وهو الأمر الذي حفظه المسيح نفسه، وهو لم يَدِن الذين يحبون الوالدين ولا حتى أنّب الذين يحترمون الوالدين. لكن ببساطة شرَّع بطريقة لائقة أن تأتي الأمور البشرية في الترتيب الثاني بعد الأمور الإلهية. لأنه لم يقل فقط «مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا»، لكنه أضاف عبارة «أَكْثَرَ مِنِّي». ينبغي إذًا أن تكون الأولوية للمحبة نحو الله، ثم بعد ذلك المحبة نحو البشر.

فهو قد وضع ما يخصه في مرتبة أعظم مما يخصنا. لأن الله هو أعلى من الكل، وفوق الكل. لكنه لم يأمر مطلقًا بأن نعتبر توقير أو احترام الوالدين شيئًا تافهًا، فهو أوصى بأن نقول إن كل ما يتعلق بالله فهو في المرتبة الأعظم والأحسن.

هذا الأمر قاله المسيح إلى معلمي اليهود: «لِمَاذَا تَتَعَدَّوْنَ وَصِيَّةَ اللهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ؟ فَإِنَّ اللهَ أَوْصَى قَائِلاً: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَمَنْ يَشْتِمْ

أَبًا أَوْ أُمًّا فَلْيَمُتْ مَوْتًا. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ: مَنْ قَالَ لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ: قُرْبَانٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي. فَلاَ يُكْرِمُ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ. فَقَدْ أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ!» (مت ١٥).

ما هو جرم الفريسيين في هذه الحال؟

أتى بعض الإسرائيليين وطلبوا أن يكرسوا نفوسهم لله .. وكان عدم توافر الأموال بالنسبة لهم يمثل عائقًا منيعًا. فالكتبة والفريسيون طلبوا منهم أن يدفعوا، لأن هؤلاء الكتبة والفريسيين كانوا محبين للمال والرشوة الدنسة .. وكانوا يقنعون المكرسين بأن مساعدة الوالدين هو أمر عديم النفع عند الله، حتى أنه عندما يأتي الوالدان ليطلبا مساعدتهم المنتظمة لقَّنوهم بأن يخبروهم: «ما تريدونه هو قربان الله» أي ما سوف تأخذونه منا هو مخصص لله، فلا تمد يدك إلى الأموال الإلهية، إذ أنني كرست ذاتي إلى الله وقدمتها إليه كعطية له. هكذا يدفعونهم أن يتصرفوا ضد الوصية الإلهية لدرجة أن الخوف أصبح ينتابهم من إمكانية تعرضهم للضرر بسبب انتهاك الحرمات المقدسة، كما أنهم أصبحوا يرتعبون بشدة من الناموس، وكل هذا بزعم توقير الله. لذلك قال لهم المسيح: «قَدْ أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ!»، فكان يجب أن يتم تكريم الوالدين، ولا تداس وصية الناموس الخاصة بإكرام الوالدين بادّعاء توقير الله.

وبالتالي، يجب علينا أن نحب أبا الكل محبة شديدة، وفي المرتبة الثانية مباشرة نقدم للوالدين – اللذين اشتركا مع الله في خلقنا – الكرامات اللائقة.

أظهر ربنا يسوع المسيح بأنه ينبغي علينا أن نحترم والدينا، وأعتبر أمه جديرة بالاحترام والرعاية. حقًا لقد كان معلقًا فوق الصليب المقدس ومُسمرًا على الخشبة، وسلم العذراء القديسة إلى تلميذه المحبوب الأصيل، جاعلًا تلميذه المحبوب عائلًا لها، إذ قال: ««يَا امْرَأَةُ، هُوَذَا ابْنُكِ».ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ: «هُوَذَا أُمُّكَ». وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التِّلْمِيذُ إِلَى خَاصَّتِهِ.» (يو ١٩).

وحيث أنه وضع الأولاد تحت نير والديهم، ووضعهم تحت نير الناموس، وضع أيضًا شريعة تتعلق بتصرف الوالدين تجاه أولادهم، بحيث لا يحيدون عن إرادة الله. لقد أخبر بولس الحكيم الأولاد أنه ينبغي عليهم أن يخضعوا لآبائهم، وأيضًا قال: «وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ، بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ.» (اف ٦)، بمعنى أن يصيروا لهم معلمين، ويقودوهم إلى حياة محبة الله ...

إذًا يجب على الأباء أن يقدموا نصائح حسنة، ولكن إذا وصل المربون إلى الانحراف، أو تغير الهدف ولا يبالون، ويصيرون هم أنفسهم مبتعدين عن التعقل في قيادتهم لأولادهم، وإذا أصبحوا محترفين في فعل الأمور المتدنية، فإنهم سيخضعونَ لجزاء قاسٍ، لأن الوالدين يدمرون ثمارهم، ويلقونهم في الهلاك.

# رسالة الزلزال

## الذي اصاب مدينة القسطنطينية

## للقديس يوحنا ذهبي الفم

**هل رأيتم قوة الله؟**

**هل رأيتم محبة الله للبشرية ؟**

رأيتم قوته عندما زلزل العالم، ورأيتم محبته عندما جعل العالم المترنح ثابتًا مرة أخرى – أو بالأحرى رأيتم قوته ومحبته في كليهما – فالزلزال أظهر قدرة الله وتوقفه أظهر محبته، إذ أنه هزَّ الأرض ثم جعل الكون راسخًا مرَّة ثانية، وبعد أن كان يتأرجح وعلى وشك الانهيار جعله منتصبًا.

قد انتهى الزلزال لكن ليبقى الخوف، ذلك الترنح قد جرى مجراه وعبر لكن لا تترك التعقل يغادر معه. قد أمضينا ثلاثة أيام في الصلاة، ليتنا لا نخفِّف من حماسنا الروحي. جاء الزلزال بسبب تهاوننا، قد استرخينا فاستدعينا الزلزال، جدَّدنا حماسنا فأبعدنا غضب الله. ليتنا لا نتهاون مرة أخرى لئلا نستدعي غضبه وعقوبته من جديد. إذ أن الله لا يسَّر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا (حز٣٣:١١).

### هل رأيتم فناء الطبيعة البشرية؟!

عند حدوث الزلزال تأملت في نفسي وقلت: **أين السرقة؟ أين الطمع؟ أين الاستبداد؟ أين التكبر؟ أين الهيمنة؟ أين الظلم؟ أين نهب الفقير؟ أين عجرفة الغنيّ؟ أين سيطرة الأقوياء؟ أين التهديد والإكراه؟ أين الخوف؟**

مرت لحظة واحدة، وإذا كل شيء قد تمزق بسهولة أكثر من تمزق شبكة العنكبوت، كل شيء تحطم، وامتلأت المدينة بالصراخ وركض كل إنسان نحو الكنيسة.

تأمل معي لو كان الله قد اختار تدمير كل شيء، ماذا كان سيكون حجم المعاناة؟!

أقول هذا لكي يبقى ذلك الخوف الناتج من تلك الأحداث قاطعًا

فيك، فنحافظ على عزيمة كل شخص قوية وثابتة. قد هزَّنا لكنه لم يحطمنا، لو كانت إرادته تحطيمنا ما كان قد هزَّنا، لكن بما أنه لم يرد تحطيمنا جاء الزلزال مثل نذير، محذرًا كل إنسان بغضب الله، حتى يمكننا من خلال مخافة الله أن نُحسِّن من حياتنا ونتجنب العقوبة الفعلية.

قد فعل ذلك حتى للأمم الأجنبية: «بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وتَنْقَلِبُ نِينَوَى» (يون ٣: ٤ س)، لماذا لا تقلب المدينة مباشرة؟ أتنذر بتدميرها، لماذا لا تدمرها في الحال؟ لأنني لا أبتغي الهدم، ولهذا السبب أنذر، وحتى لا أفعل ما أقول أجعل كلمتي تمضي مسبقًا وتمنع أعمالي. لذلك تكلم النبي: «بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وتَنْقَلِبُ نِينَوَى». أما اليوم فالجدران تصدر صوتًا – أقول هذا للفقير والغنيّ ولا أتوقف عن ذلك – لنتأمل كم هو رهيب غضب الله وكيف أن كل شيء سهل وبسيط أمامه، ولنمتنع عن الشرّ، إذ أنه في وهلة زمنية قصيرة أرهق عقل وثبات كل واحد منا، وهزَّ أساسات قلوبنا.

لنتأمل في ذلك اليوم الرهيب – الذي عوضًا عن لحظة زمنية واحدة يكون دهورًا بلا نهاية – حيث أنهار نار، وغضب مُخيف، وقوات تسحبنا للمحاكمة، وكرسي حكم رهيب، ومحكمة غير فاسدة، وأعمال كل إنسان ماثلة أمام أعيننا، لا يوجد أحد للمساعدة، لا جار ولا محامٍ ولا قريب ولا أخ ولا أب ولا أم ولا صديق ولا أي شخص آخر.

أخبرني، ماذا سنفعل آنذاك؟!

أني أجلب لكم مخافة لكي أعِدَّ خلاصكم.

قد كتبت درسًا أمضى من الفولاذ حتى يمكن لكل واحد منكم عنده قرحة متعفنة أن يقطعها بواسطته.

ألم أسأل على الدوام – كما أسأل الآن ولا أكف عن السؤال – إلى متى **تتعلقون بأمور هذا العالم؟**

أخاطبكم جميعًا وبصورة خاصة أخاطب أولئك المرضى الذين لا ينتبهون لكلامي. العظة بالأحرى مفيدة لكل منكم: للشخص المريض لتجعله سليمًا، وللشخص السليم لتحفظه من السقوط مريضًا.

**كم من الوقت يدوم المال؟ كم من الوقت يدوم الغنى؟ كم من الوقت تدوم البيوت الفاخرة؟ إلى متى نسعى سعيًا مسعورًا وراء التمتع بالأمور المادية؟**

عندما جاء الزلزال هل أعانت الثروة أي إنسان؟ قد تحطم عمل الغنيّ والفقير على حد سواء، وهلكت الأملاك سويًا مع المالك، وهلك البيت سويًا مع الباني، وصارت المدينة قبرًا مشتركًا للجميع، قبرًا غير مشيدٍ بأيدي عمال بل مُجَّهزًا بواسطة الكارثة ذاتها، أين كانت الثروة آنذاك؟ أين كان الطمع؟ ألم ترَ كيف كان كل شيء هشًا أكثر من شبكة العنكبوت؟

ألم ترَ كيف جلب الله في وهلة زمنية قصيرة كل شيء معًا؟ لذلك راجع نفسك وفكر بآستمرار في ليلة الزلزال. كان الجميع خائفًا من الزلزال أما أنا فكنت خائفًا من سبب الزلزال. هل تفهم ما أعنيه؟ كانوا خائفين لئلا تنهار المدينة فيموتوا، أما أنا فكنت خائفًا لئلا يكون السيّد الربّ غاضبًا منا. الموت ليس بالشيء المُفجِّع لكن المُفجِّع حقًا هو أن تُغضِب السيّد الربّ. لذا لم أكن خائفًا من الزلزال بل من سبب الزلزال، إذ أن سبب الزلزال هو غضب الله، وسبب غضب الله هو **خطايانا**. لا تخف مطلقًا من العقاب لكن **خف من الخطيئة سبب العقاب**.

هل كانت المدينة تترنح؟ – ما في ذلك؟ – لكن لا تجعل ثباتك يترنح. في حالة الإصابات والأمراض، نحن لا نحزن على أولئك الذين يتم شفاؤهم بواسطة العلاج بل على أولئك الذين مازال عندهم مرض عضال. **الخطيئة تشبه المرض أو الجرح**، أما **العقوبة فتشبه الجراحة والعلاج**.

هل تفهم ما أقوله؟ أنتبه فأريد أن أعلمك كلمة حكمة. لماذا نحزن على أولئك الذين يعاقبون بينما لا نحزن على أولئك الذين يخطئون؟ العقاب ليس بالشيء المُفجع كالخطيئة، لأن الخطيئة هي سبب العقاب. إذا رأيت شخصًا ما عنده قرحة عفنة والديدان والإفرازات تخرج من جسمه، وتراه مُهملًا جُرحه الملوّث، وترى شخصًا آخر عنده نفس المرض إلا أنه ينتفع من أيدي الأطباء بالمعالجة بالكي والجراحة والأدوية المُرَّة، أخبرني، على من منهما ستحزن، على المريض الذي **لا يعالج** أم على المريض **الذي يعالج**؟ بالطريقة نفسها، تصور مُذنبين واحدًا يعاقب والآخر لا يعاقب. لا تقل هذا محظوظٌ لأنه غني، يجرِّد الأيتام من ممتلكاتهم ويظلم الأرامل. هو ظاهريًا لا يبدو مريضًا، فله سمعة جيدة بالرغم من سرقاته، ويتمتع بالكرامة والسلطة، ولا يعاني من أي من المشاكل التي تصيب البشر، لا حُمَّى ولا شلل ولا أي مرض آخر، وتحيط به جوقة من الأطفال، وشيخوخته مريحة، لكنك يجب أن تحزن عليه بالأكثر لأنه مريض حقًا ولا يأخذ أي معالجة. سأخبرك كيف. إذا رأيت إنسانًا مصابًا بداء الاستسقاء، وجسمه متضخمٌ بسبب طحال مؤلم، ولا يسرع إلى الطبيب بل يشرب ماء باردًا، ومواظبًا على مائدة مُترَفة، ويسكر كل يوم، ومحاطًا بحرّاس، ومهيجًا مرضه بكل وسيلة، أخبرني، هل تدعوه محظوظًا أم تعيس الحظ؟ وإذا رأيت شخصًا آخر مصابًا بداء الاستسقاء لكنه يستفيد من عناية الأطباء، مُطهِّرًا نفسه بالجوع، وبصعوبة كبيرة يجابه أدويته المُرَّة – التي تؤلمه لكن تجلب له صحةً من خلال الألم – ألا تدعو ذلك الشخص أكثر حظًا من الآخر؟ بالطبع هو كذلك، إذ أن واحدًا مريضًا ولا يعالج، بينما الآخر مريض وينتفع من العلاج.

لكنك قد تقول: العلاج مؤلم، حقًا هو كذلك، إلا أن غايته نافعة.

هكذا أيضًا حياتنا الحاضرة، لكنك يجب أن تُحول الكلمات من الأجساد إلى الأرواح، ومن الأمراض إلى الذنوب، ومن الطعم المُرّ للأدوية إلى العقاب والحكم الإلهي، وكما أن الأدوية والجراحة والمعالجة بالكيّ هي للطبيب كذلك التأديب هو لله. وكما تُستعمل النار كثيرًا للمعالجة بالكيّ لمنع انتشار العدوى، وكما تزيل أداة صلبة اللحم المتعفن – مسببة ألمًا لكن مقدمة نفعًا – كذلك الجوع والمرض والتجارب الظاهرة الأخرى تستخدم على الروح بدلًا من النار والأداة الصلبة، لمنع انتشار المرض ولكي تجعل الروح أفضل.■

# «انفتحت أعينهما وعرفاه» (لو٢٤: ٣١)

## تلميذا عمواس

هناك عدَّة مراحل يمرُّ بها الإنسان في بداية حياته الروحية ومعرفته بالرب يسوع. هذه المراحل تستدعي انفتاح الحواس الروحية والذهن والقلب لإدراك الحقائق الروحية، والتعمُّق في الأسرار الإلهية. هذا الانفتاح هو عطية إلهية يهبها الله للإنسان الساعي في طريق الخلاص، والذي يطلب من كل قلبه انفتاحًا عميقًا على كل ما يختصُّ بالإيمان وبالحياة الأبدية وبملكوت السموات.

ولكن إنْ لم يتحنَّن الربّ ويَهَب الإنسان هذا الانفتاح الروحي السامي، سيظلُّ الإنسان منحصرًا في الإيمان النظري غير المُختَبَر وغير العملي، ويظلُّ يدور في فَلَك المفاهيم الفكرية النظرية لإدراك الأمور الروحية والمعرفة العميقة؛ فيستمر إيمانه عقيمًا، وفهمه الروحي قاصرًا، وإدراكه الواعي الحقيقي ضيِّقًا غير رحب!

وما إن ينفتح وعي الإنسان، بنعمة الرب، حتى تسمو قامته الروحية، ويُدرك أمورًا إلهية كانت في السابق عَسِرَة الفهم عليه، وينتقل إلى مرحلة الإيمان الحقيقي العملي وليس الإيمان النظري القاصر.

فما هي مراحل انفتاح الحواس الروحية والذهن الروحي؟

### انفتاح الأُذن:

نحن نتكلَّم لا عن الأُذن المنفتحة على أمور العالم وأخباره، وإنما عن الأُذن الروحية المُنفتحة على الأمور الروحية والسماوية، التي قيل عنها في سفر إشعياء النبي: «يُوقِظُ كُلَّ صَبَاحٍ. يُوقِظُ لِي أُذُنًا لأَسْمَعَ كَالْمُتَعَلِّمِينَ. السَّيِّدُ الرَّبُّ فَتَحَ لِي أُذُنًا وَأَنَا لَمْ أُعَانِدْ، إِلَى الْوَرَاءِ لَمْ أَرْتَدَّ» (إش٥٠: ٤،٥). وقد وردت كثيرًا في سِفْر الرؤيا عبارة: «مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ» (رؤ٢: ٧،١١،١٧،٢٩، ٣: ٦،١٣،٢٢). وكذلك وردت نفس العبارة على لسان الرب يسوع: «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ» (مت١١: ١٥؛ ١٣: ٩؛ مر٤: ٩؛ لو ٨: ٨).

وعندما جاءوا إلى الرب يسوع بإنسانٍ أصم أعقد وطلبوا إليه أن يضع يده عليه، «فَأَخَذَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ عَلَى نَاحِيَةٍ، وَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِي أُذُنَيْهِ... وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَأَنَّ وَقَالَ لَهُ: «إِفَّثَا». أَيِ انْفَتِحْ. وَلِلْوَقْتِ انْفَتَحَتْ أُذْنَاهُ...» (مر٧: ٣٢-٣٥).

فالذي صنعه الرب يسوع مع هذا الإنسان الأصم، أنه لم يفتح أُذنيه الجسديتَّيْن لسماع الأصوات والكلام فقط؛ وإنما فَتَحَ له أيضًا أُذنيه الروحيتين ليُدرك من خلالهما ويعي القوة الروحية الكامنة في كلمة الرب التي هي «حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ» (عب٤: ١٢). ومن خلال هذا الإدراك والوعي الروحيَّيْن يتغلغل الإيمان الحقيقي إلى أعماق قلب الإنسان ويدخل إلى عمق الشركة مع الرب يسوع.

### انفتاح الفم:

في نفس نبوَّة إشعياء النبي التي ذكرناها آنفًا، قال: «أَعْطَانِي السَّيِّدُ الرَّبُّ لِسَانَ الْمُتَعَلِّمِينَ لأَعْرِفَ أَنْ أَغِيثَ الْمُعْيِيَ بِكَلِمَةٍ» (إش٥٠: ٤). وكذلك في المعجزة التي صنعها الرب مع الإنسان الأصم الأعقد، مكتوبٌ: «وَتَفَلَ (الرب يسوع) وَلَمَسَ لِسَانَهُ (أي لسان الإنسان الأعقد)، وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَأَنَّ وَقَالَ لَهُ: «إِفَّثَا». أَيِ انْفَتِحْ. وَلِلْوَقْتِ... انْحَلَّ رِبَاطُ لِسَانِهِ، وَتَكَلَّمَ مُسْتَقِيمًا» (مر٧: ٣٢- ٣٥).

فانفتاح لسان هذا الإنسان الأعقد، ليس هو انفتاحًا على المستويَيْن المادي والجسدي فقط للقدرة على التكلُّم ومخاطبة الآخرين؛ وإنما هو أيضًا انفتاحٌ على المستوى الروحي ليتكلَّم بكلمة الرب ويُفسِّر الأمور المختصَّة بالرب يسوع وبالحياة الأبدية.

وكان رجاء بولس الرسول لمؤمني مدينة أفسس: «مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُوَاظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، وَلأَجْلِي، لِكَيْ يُعْطَى لِي كَلاَمٌ عِنْدَ افْتِتَاحِ فَمِي، لأُعْلِمَ جِهَارًا بِسِرِّ الإِنْجِيلِ، الَّذِي لأَجْلِهِ أَنَا سَفِيرٌ فِي سَلاَسِلَ، لِكَيْ أُجَاهِرَ فِيهِ كَمَا يَجِبُ أَنْ أَتَكَلَّمَ» (أف٦: ١٨-٢٠).

ولا ننسى أنَّ الرب يسوع وَعَدَ تلاميذه والمؤمنين به: «مَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا

تَتَكَلَّمُونَ بِهِ، لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ» (مت١٠: ١٩-٢٠). وفي موضع آخر من الإنجيل، يقول الرب: «وَقَبْلَ هذَا كُلِّهِ يُلْقُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، وَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَامِعَ وَسُجُونٍ، وَتُسَاقُونَ أَمَامَ مُلُوكٍ وَوُلاَةٍ لأَجْلِ اسْمِي. فَيَؤُولُ ذلِكَ لَكُمْ شَهَادَةً. فَضَعُوا فِي قُلُوبِكُمْ أَنْ لاَ تَهْتَمُّوا مِنْ قَبْلُ لِكَيْ تَحْتَجُّوا، لأَنِّي أَنَا أُعْطِيكُمْ فَمًا وَحِكْمَةً لاَ يَقْدِرُ جَمِيعُ مُعَانِدِيكُمْ أَنْ يُقَاوِمُوهَا أَوْ يُنَاقِضُوهَا» (لو ٢١: ١٢-١٥).

أليس ما سبق سرده من أقوال ومواعيد الرب يسوع، هو ما ردَّده بولس الرسول في أثناء كرازته عندما قال: «وَكَلاَمِي وَكِرَازَتِي لَمْ يَكُونَا بِكَلاَمِ الْحِكْمَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الْمُقْنِعِ، بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ، لِكَيْ لاَ يَكُونَ إِيمَانُكُمْ بِحِكْمَةِ النَّاسِ بَلْ بِقُوَّةِ اللهِ» (١كو٢: ٤-٥).

فالذي يُعطي قوَّةً للكلام، ليس هو المنطق والحكمة البشرية الذي يكون بمثابة «نُحاس يَطِنُّ أو صَنْج يَرِنُّ»؛ وإنما تأثير الكلام في أعماق النفس يكون ببرهان الروح والقوة الذي ينطق على لسان الكارز والمُبشِّر والواعظ، فيتغلغل إلى أعماق الكيان الإنساني فيعمل عمله المُغيِّر والمُجدِّد للطبيعة البشرية!

## انفتاح الذهن:

قد يكون الذهن منغلقًا على الفهم الروحي الذي يسبُر أغوار الحقائق الروحية. وعندئذ يصل الإنسان فقط إلى حدِّ القشور أو حافة الأمور السطحية. وهنا لا يحدث التغيير الكياني الداخلي العميق. ويمكث الإنسان في جهله الروحي وعدم إدراكه للحقائق الإلهية.

فعندما أُغلِقَ على ذهن التلاميذ إدراك ما يقوله لهم الرب يسوع عن آلامه وقيامته من بين الأموات في اليوم الثالث، «حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ» (لو٢٤: ٤٥).

وقد حذَّر بولس الرسول أهل أفسس، وكذلك حذَّرنا نحن معهم، قائلًا: «... أَنْ لاَ تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الأُمَمِ أَيْضًا بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ، إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ» (أف٤: ١٧-١٨).

ولعلَّنا نُدرك أنَّ انغلاق بعض الأذهان عن معرفة الرب يسوع والإيمان به، هو نتيجة العَمَى الروحي الذي يغشي به الشيطان أذهان الناس، كما يقول بولس الرسول: «وَلكِنْ إِنْ كَانَ إِنْجِيلُنَا مَكْتُومًا، فَإِنَّمَا هُوَ مَكْتُومٌ فِي الْهَالِكِينَ. الَّذِينَ فِيهِمْ إِلهُ هذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ» (٢كو٤: ٣-٤).

فما يجب علينا هو أن نُصلِّي بإيمانٍ أن يفتح الرب ذهننا، وكذلك أذهان الآخرين، لإدراك أسرار الحياة الروحية، وأعماق الإيمان بالثالوث القدوس، والشركة الحقيقية مع الرب يسوع.

## انفتاح القلب:

قد يكون قلب الإنسان أيضًا مُنصدًّا عن قبول الرب يسوع والإيمان به، أو قد يكون غرور الخطيئة قد قسَّى القلب: «اُنْظُرُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ لاَ يَكُونَ فِي أَحَدِكُمْ قَلْبٌ شِرِّيرٌ بِعَدَمِ إِيمَانٍ فِي الارْتِدَادِ عَنِ اللهِ الْحَيِّ. بَلْ عِظُوا أَنْفُسَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ مَا دَامَ الْوَقْتُ يُدْعَى الْيَوْمَ، لِكَيْ لاَ يُقَسَّى (قلب) أَحَدٌ مِنْكُمْ بِغُرُورِ الْخَطِيَّةِ» (عب٣: ١٢-١٣).

ومكتوبٌ في سِفْر أعمال الرسل عن امرأة تُدعَى ليديَّة بيَّاعة أرجوان من مدينة ثياتيرا كانت تسمع كرازة بولس الرسول، وقيل عنها إنها: «مُتَعَبِّدَةٌ للهِ، فَفَتَحَ الرَّبُّ قَلْبَهَا لِتُصْغِيَ إِلَى مَا كَانَ يَقُولُهُ بُولُسُ. فَلَمَّا اعْتَمَدَتْ هِيَ وَأَهْلُ بَيْتِهَا طَلَبَتْ قَائِلَةً: «إِنْ كُنْتُمْ قَدْ حَكَمْتُمْ أَنِّي مُؤْمِنَةٌ بِالرَّبِّ، فَادْخُلُوا بَيْتِي وَامْكُثُوا». فَأَلْزَمَتْنَا» (أع١٦: ١٤-١٥).

نتذكَّر جيِّدًا أنَّ الرب يسوع لا يقتحم قلب الإنسان عنوةً، ما لم يسمح الإنسان بدخول الربّ إلى قلبه، ويكون لديه الاستعداد لقبول الربّ. ولا ننسى ما قاله الرب في سِفْر الرؤيا: «هَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي» (رؤ٣: ٢٠). ومع دخول الربّ إلى قلب الإنسان، يحدث انفتاح عميق لقلب هذا الإنسان على الأمور الروحية وعلى السماويَّات؛ فيُدرك أمورًا كان قلبه لا يُدركها ولا يعرفها من قبل، فيزداد إيمانه بالرب يسوع، وينفتح قلبه على أسرار الحياة الأبدية.

فالرب يسوع يقْرع على القلوب قرْعًا خفيفًا، ويهمس بهمساتِ حبِّه المُتلهِّفة الخافتة. وعندما يرفض الإنسان فتْح باب قلبه للربّ، ينصرف الربّ؛ ولكنه يُكرِّر المحاولة مرَّة ومراتٍ. وهنا إمَّا أن يستمر الإنسان في عناده ويظل باب قلبه موصَدًا في وجه الرب؛ أو يفتح للرب بابه، وحينئذ يدخل الرب إلى قلبه مُحمَّلًا ببركات حضوره وهِبَات خلاصه.

## انفتاح العينين:

قد تكون عينا الإنسان مطموستين عن رؤية حقائق الإيمان وأسرار السماء، بالرغم من أنهما منفتحتان من الناحية الجسدية، وينظران مناظر العالم بوضوح، ويُشاهدان الأشخاص وجميع الكائنات الأخرى بدقَّة. ولكن للأسف الشديد هما في نظر الرب معميتان عن رؤياه والتعرُّف عليه.

في معجزة شفاء المولود أعمى، نجد أن الرب لم يخلق له عينين خارجيَّتَيْن جسديَّتَيْن فقط، ولكنه وهبه العينين الروحيَّتين لإدراك الأمور الروحية. ولذلك مكتوبٌ عن المولود أعمى أنه عندما سمع كلام الرب يأمره بأن يذهب ويغتسل في بِرْكة سلوام، «فَمَضَى وَاغْتَسَلَ وَأَتَى بَصِيرًا» (يو٩: ٧). وفي سياق هذه المعجزة، عندما قال الرب يسوع: «لِدَيْنُونَةٍ أَتَيْتُ أَنَا إِلَى هذَا الْعَالَمِ، حَتَّى يُبْصِرَ الَّذِينَ لاَ يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى الَّذِينَ يُبْصِرُونَ»، «فَسَمِعَ هذَا الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ، وَقَالُوا لَهُ: أَلَعَلَّنَا نَحْنُ أَيْضاً عُمْيَانٌ؟». فأجاب الرب على تساؤلهم: «لَوْ كُنْتُمْ عُمْيَانًا لَمَا كَانَتْ لَكُمْ خَطِيَّةٌ. وَلكِنِ الآنَ تَقُولُونَ إِنَّنَا نُبْصِرُ، فَخَطِيَّتُكُمْ بَاقِيَةٌ» (لو٩: ٣٩-٤١).

إذن، فالعَمَى هنا هو عَمَى البصيرة الروحية عن إدراك الحقائق الروحية، مع أنَّ الرب قد جاء «وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الْحَقَّ. وَنَحْنُ

فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. هذَا هُوَ الإِلهُ الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (١يو٥: ٢٠).

وفي سيرة **ديديموس الضرير البصير**، نقرأ أنَّ **القديس أنطونيوس الكبير** قد زاره ثلاث مرَّات. وفي أول لقاء بينهما، عزَّاه **القديس أنطونيوس** في فَقْده بَصره، مُطوِّبًا إيَّاه بأنَّ له عيون الملائكة (أي البصيرة الروحية) التي بها يمكنه أن يُدرك المعرفة الروحية ويُعاين الإلهيات.

وبعد قيامة الرب من بين الأموات، رافق تلميذَي عمواس اليائسَيْن المُحبطَيْن، اللذين كانا يرجوان أنَّ الرب يسوع «هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ» (لو٢٤: ٢١). وعندما وبَّخهما الرب على بُطء قلبيهما في الإيمان بجميع ما تكلَّم به الأنبياء عنه، ولم يفلح معهما شرحه وتفسيره لهما ما تكلَّم به موسى النبي وجميع الأنبياء عن الأمور المختصَّة به في جميع الكتب؛ لم يلبثوا عندئذ أن اقتربوا من قرية عمواس، فألزما الرب قائلَيْن: «امْكُثْ مَعَنَا لأَنَّهُ نَحْوُ الْمَسَاءِ وَقَدْ مَالَ النَّهَارُ». فحينئذ «دَخَلَ لِيَمْكُثَ مَعَهُمَا. فَلَمَّا اتَّكَأَ مَعَهُمَا، أَخَذَ خُبْزًا وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَنَاوَلَهُمَا، فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ ثُمَّ اخْتَفَى عَنْهُمَا» (لو٢٤: ١٣-٣٥).

يا لَعظمةِ هذا السر الإلهي، الذي يُدعَى سرَّ الأسرار، سر كَسْر الخبز، سر الإفخارستيا، ترياق عدم الموت؛ الذي كل مَن يتناول منه بإيمان، ليس فقط ينال الخلاص وغفران الخطايا والحياة الأبدية؛ وإنما تنفتح بصيرته الروحية فيُدرك ما لا يُدركه العقل البشري، ويعي الأمور المختصَّة بملكوت السموات!

# الشهداء الحقيقيون من أجل الإيمان بالمسيح

## القديس إفرام السرياني

في أزمنة الاضطهاد، عندما كان الإخوة يفرّون من ميدان العمل ولا يتجاسرون على الاعتراف بالمسيح ابن الله، وقف الشهداء برباطة جأش في الميدان متمنطقين بالإيمان الحقيقي ومعترفين بالمسيح ابن الله بجسارة عظيمة، دون خوف.

لقد ثبت القديسون الشهداء في جهادهم بسرور عظيم متحملين أنواع العذاب على اختلافها من أجل اسم ابن الله الوحيد مخلّص العالم. إنهم حقًا كانوا صالحين ومغبوطين لأنهم رأوا بأمّ العين أدوات العذاب الهائلة معدّة لهم على اختلافها: كالنار الهائلة في الأتون، والدواليب المصرّة الدائرة في اللهيب، والبراثن النارية، والمناشير، والملازم، والأغلال، والقيود وغير ذلك، ليستولي الخوف عليهم ويحبس ألسنتهم عن الاعتراف بيسوع المسيح.

ماذا صنع محبو الله المجاهدون الحقيقيون لدى رؤيتهم أنواع العذابات أمام عيونهم؟ إنهم تسلّحوا بالاستعداد لاحتمال كلّ العذابات، ليعترفوا بالمسيح أمام السلطات واليهود، من دون وجل وبجسارة عظيمة. فلا سعير النار، ولا غليان المراجل، ولا دوران الدواليب، ولا البراثن الحديدية، ولا أسنان المناشير، ولا ثقل القيود، ولا التهديد والوعيد وصرير الأسنان، ولا مكايد العدو أثّرت في شجاعة المجاهدين في سبيل المسيح، وتمكّنت من حملهم على إنكار ربّهم ومخلصهم، بل وطئوا بالإيمان حيل العدو كلّها، دون أن يتسرّب إليهم الخوف.

أرأيت شجاعة عبيد الله المحبّين؟ أرأيت ثباتَ أرواح محبّي المسيح

المجاهدين؟ أرأيت إيمان محبّي ملكوت العلي؟ أرأيت كمال إيمان هؤلاء المؤمنين المخلِصين؟ أرأيت محبتهم العظيمة التي استطاعوا بها احتقار كلّ شيء أرضيّ ليشاهدوا الله الذي أحبوه؟ أرأيت كيف أنّ الفردوس يريد أن يرى فيه المكلّلين بإكليل الظفر مسرورين بالنور؟

تعال، يا أخي الحقيقي، وتعلّمْ وانظرْ ثمرَ الاستشهاد والإيمان والأفكار التقيّة الصادقة في الجهاد الباسل الكامل! تأمّلْ كيف أنّ العذابات لم تُضعِف أفكارَ الصدّيقين ومحبّيهم لله تعالى بل بالعكس تحمّلوا التمزيقَ بسرورٍ عظيم، وقبلوا الضرب والجلد بلذّة، شاكرين الله ومبتهجين، لأنهم استحقّوا الآلام من أجله.

تقدّمْ أيها السامع وكن تلميذًا للقدّيسين المعذبين. فهم معلّمون صالحون لله، إن شئت أن تتعلّم منهم. تعلّم منهم الثباتَ في الإيمان والمحبةَ لله في الآلام العظيمة والرغبة في الحصول على الخيرات الآتية. إنهم بقوّةِ الله والإيمان الكامل، خرجوا من لهيب النار ظافرين، فتغلّب أنت على لهيب الشهوة الشريرة! إنهم بالصبر وبالاتّكال على المسيح تغلّبوا على أنواع العذاب، فتغلّبْ أنت بالعفاف وبالأفكار النقية على كلّ شهوة رديئة! إنّهم بالوداعة وكبر النفس تغلّبوا على معذّبيهم، فتغلّبْ أنت على الغضب المؤلم! إنهم صاروا شهداء فصِرْ أنت شهيدًا! إنهم جاهدوا بجسارة، فجاهِدْ أنت في السرّ لتحصل على الإكليل في يوم العطاء العظيم، وتكون مساكنًا لهم في الملكوت ومسرورًا إلى أبد الآبدين آمين.

# موقف المسيحيّ إزاء الموت

## للقديس كبريانوس أسقف قرطاجة

نقلتها عن الفرنسية

راهبات دير القديس يعقوب الفارسي المقطع، دده – الكورة

لقد نالت كنيسة المسيح في قرطاجة نصيبًا يُعتدّ به في حمل الصليب، فقد عاصرت **اضطهاد داكيوس**، وعانت الأمرّين من جرّاء ما أنزله بها **الفُرس** في العام ٢٥٢م من خسائر وأضرار جمّة، وكذلك من الرعب الذي ساد الموقف في كلّ مكان. ولم تكد هذه الاضطهادات التي أرهقت الشعب تكفّ حتّى تفشّى وباء الطاعون في كلّ البلاد، حاصدًا الكثير الكثير من نفوس العباد، فأصبح الموت رفيق الناس الوفيّ الذي يأبى أن ينأى بظلّه عنهم. لذا هبّ **الأسقف القدّيس كبريانوس الشهيد (٢٥٨م)** ليضمّد كلوم أولاده الأليمة، فكتب لهم مشدّدًا مقالات تناول فيها الموت ومعناه من منظار مسيحيّ إيمانيّ قائلًا: «إنّ المؤمن لا يُعفى من التجربة الواقعة، بل يجب أن يخوضها بشجاعة وينتصر عليها. فالمؤمن ينظر إلى الموت نظرته إلى الراحة بعد الصراع، من خلال نداء المسيح له».

يفتح الموت للمسيحيّ أبواب الأبديّة، ويساعده لجني المكافأة النهائيّة. لذا لا يخشى المسيحيّ المؤمن من الانطلاق إلى عالم أفضل حيث الغبطة الدائمة الموعود بها في الكتب الإلهيّة. وبهذا المعنى يقول القدّيس كبريانوس: «دعونا نفكّر، أيّها الإخوة الأعزّاء، بأنّنا منذ الآن قد زهدنا في العالم، وتخلّينا عن مسرّاته، وبأنّنا نعيش على هذه الأرض كضيوف وغرباء، لا بل كنزلاء وقتيّين. لا بدّ لكم، يا إخوتي، أن تقتنوا فكرًا حازمًا، وإيمانًا ثابتًا أكيدًا غير عابئين بالخيرات الزائلة الفانية، إيمانًا شجاعًا يتصدّى لاضطرابات هذا العالم، ويتحدّى أوهامه الكاذبة، لأنّه بإيمان كهذا يصون المؤمن ذاته من الغرق في صعاب هذه الحياة. لِنَتُقْ إلى اليوم الذي فيه سيُحدَّد لكلّ منّا مسكنه الخاصّ، إلى اليوم الذي نعود فيه إلى الفردوس وإلى ملكوت السماوات، وقد حُرِّرنا من قيود هذه الدنيا.

إنّ أهميّة الإيمان وقيمته تكمنان في مقاومة التجارب. إنّي ألاحظ البعض بينكم لا يشهدون بجدّية وحزم لعمل الروح القدس الكائن في داخلهم، ربّما بسبب ضعف إيمانهم، أو بسبب تعلّقهم بمباهج هذه الحياة وملذّاتها، أو بسبب جهلهم للحقّ الإلهيّ. لن أتوانى عن تحذيركم فأقول: ثقوا بوعود الله، وارهبوا فتور الهمّة والانقياد للأفكار الباطلة. وطننا الحقيقيّ هو السماء حيث ينتظرنا عدد لا يحصى من الأحبّاء والإخوة والآباء والأمّهات والأبناء، الذين يشتاقون إلى حضورنا بينهم، مترجّين خلاصنا. فلنسرع، إذًا، في الوصول إليهم والالتحاق بهم، متطلّعين بحرارة نفس أن نكون في أقصر وقت عندهم مع المسيح.

لا يليق بمن تجنّد لله أن يبدي أيّ اضطراب أو قلق تجاه العواصف التي تعكّر عالمنا، بل بالأحرى أن يتمسّك بالله، واضعًا رجاءه عليه. لقد سبق المسيح وأنبأنا عن الحروب والمجاعات والزلازل هنا وثمّة، وعن كلّ الحوادث الأخرى التي سوف تطالعنا في مسيرة حياتنا، مشجّعًا ومثبّتًا إيّانا، نحن أعضاء كنيسته، لكيما نكون قادرين على مواجهة ما سوف يحدث في نهاية العالم. إنّ إعلانه عن الكوارث التي ستظهر كعلامات لنهاية الزمان الحاضر، والتي تتحقّق تدريجيًّا، تظهر لنا أنّ إعلاناته ليست بكاذبة، وكذلك وعوده للمؤمنين به الذين ينتظرون مجيئه الثاني مع ملائكته القدّيسين لكي يحاكم كافّة أجناس البشر من كلّ أطراف الأرض، وها هو يدعونا لنسمع قوله: «مَتَى رَأَيْتُمْ هذِهِ الأَشْيَاءَ صَائِرَةً، فَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ قَرِيبٌ.» (لوقا ٢١: ٣١).

أيّها الإخوة الأحبّاء، لقد أُعدّت لنا الأبديّات عوضًا عن الفانيات، والسماويّات عوضًا عن الأرضيّات، والأمور الجليلة عوضًا عن الباطلة. إنّ الأشياء التي فقدناها، بخضوعنا للخطيئة، كالفرح بالخلاص الأبديّ كمكافأة عن جهادنا في هذه الحياة الحاضرة، والرجوع إلى الفردوس، والغبطة الدائمة، سوف تعود إلينا مع انتهاء العالم. كلّ من لا يُقَدِّر قيمة هذا الميراث، يرتعب من الموت وهو عديم الرجاء وقليل الإيمان. فالذي يخاف من الموت لا يرغب في المضيّ إلى المسيح. ومن يا تُرى لا يريد ذلك؟ هو ذاك الذي لا يؤمن بأنّه سوف يملك مع المسيح إلى الأبد.

وكما نَعُمَ البارّ سمعان الشيخ بالراحة الأبديّة، هكذا أيضًا سيتذوّقها كلّ رجل صدّيق، لأنّه مكتوب إنّ «البارّ بالإيمان يحيا» (رو ١: ١٧). فالإنسان البارّ يحيا بالإيمان إن كان حقًّا يؤمن بالله. لماذا لا تثق بوعود الله غير الكاذبة يا من أنت مدعوّ لكي تكون مع المسيح؟ إنّ وعوده ما هي إلّا دعوة صادقة للقائه، ونوال الحريّة من قبضة الشيطان، أفلا يفرّحك هذا؟!

لقد حفظ سمعان الشيخ الصدّيق والبارّ ومثال الشوق للانطلاق، وصايا الله، وأيقن بوعده بإيمان كلّيّ، وبوحي إلهيّ عرف بالروح بأنّه لن يرى الموت قبل أن يعاين المسيح الربّ، فما إن أتى بالطفل

يسوع أبواه إلى الهيكل، وعرفه الشيخ، حتّى أدرك أنّه لا بدّ له أن ينطلق من هذا العالم. لقد ترقّب الموت وانتظره بفرح. لم ينزعج، بل احتضن الطفل بذراعيه، وهتف مباركًا السيّد: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ» (لو ٢:٢٩). شهد سمعان بأنّ خادم الله، عندما يتحرّر من عواصف هذه الحياة، يفلت من عذابات هذا العالم المريرة، ويدركه السلام والحريّة والهدوء والطمأنينة. إنّنا بالموت نبلغ الميناء الخلاصيّ حيث تجد النفس راحتها الدائمة وسلامها الحقيقيّ وأمانها الأبديّ.

فالحياة هي كفاح مستمرّ ضدّ الأهواء والشيطان والعالم. المؤمن على هذه الأرض، هو في حرب لا هوادة فيها ضدّ الشهوات الجسديّة وإغراءات هذا العالم، وهو في جهاد دائم ضدّ سهام إبليس الذي يحاصر فكر الإنسان من كلّ جانب، وبالجهد يستطيع هذا المجاهد الأمين أن يقاومها. فإن استهان مثلًا بحبّ المال، أثار عليه الشهوات الأخرى، وإن انتصر على الشهوات، أسره بحبّ الظهور، وإن ازدرى بحبّ الظهور والشهرة، حاربه بالغضب والكبرياء، وأغراه بالسكر بالخمر، وطعنه بالحسد، ومزّق وفاقه مع الآخرين، وأفسد صداقاته بغيرة مرّة، وجعل اللعن والحلف قرين لسانه، فيصبح متعدّيًا الناموس الإلهيّ لا عاملًا به.

كم من الاضطرابات تجابهها النفس كلّ يوم، وما أكثر الأخطار التي تحدق بالقلب من جرّاء ضغط الملمّات وحروب الشياطين، ورغم ذلك نفرح ببقائنا طويلًا على الأرض بينما كان الأجدر بنا أن نوجّه كلّ اشتياقاتنا ورغباتنا في الإسراع للالتقاء بالمسيح. فالربّ علّمنا قائلًا: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ سَتَبْكُونَ وَتَنُوحُونَ وَالْعَالَمُ يَفْرَحُ. أَنْتُمْ سَتَحْزَنُونَ، وَلكِنَّ حُزْنَكُمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ.» (يو ١٦:٢٠). فمن منّا لا يشتاق أن يتحرّر من هذا الحزن؟ ومن منّا لا يتطلّع لنوال هذا الفرح؟ ومتى يتحوّل حزننا إلى فرح؟ هذا ما أعلنه لنا الربّ بقوله: «وَلكِنِّي سَأَرَاكُمْ أَيْضًا فَتَفْرَحُ قُلُوبُكُمْ، وَلاَ يَنْزِعُ أَحَدٌ فَرَحَكُمْ مِنْكُمْ» (يو ١٦:٢٢). ما دام فرحنا هو في رؤية المسيح، فأيّ غمّ يصيب أذهاننا، وأيّ جنون ينتابنا حتّى نحبّ أحزان العالم وضيقاته ودموعه أكثر من الغبطة التي لا يمكن لأحد أن ينتزعها منّا؟ إنّ مصدر المتناقضات والمضادّات التي تعوقنا عن لقاء المسيح يكمن في نقص إيماننا. وكما ذكرت سابقًا إنّ سبب ارتباطنا بالعالم ومحبّتنا له يعود، يا إخوتي الأحبّاء، إلى ضعف إيماننا، وعدم ثقتنا بوعود الله لنا.

الله صادق، وكلمته ثابتة لمن يؤمن به، لا بل هي حقيقيّة أبديّة. فإذا وعدكم إنسان ذو مكانة مهمّة وشأن عظيم بأمر ما، ألا تثقون بوعده من دون أن تشكّوا في إمكانيّة خداعه لكم؟ طبعًا الجواب نعم، لأنّكم تعرفون أنّه صادق في كلامه، ويفي بوعده. فكم بالأحرى يجدر بنا ألّا نشكّ إطلاقًا في وعد الله لنا بالحياة الأبديّة؟ فإن ساورنا الشكّ وعدم الإيمان، نكون قد أظهرنا جحودنا وأخطأنا إلى المسيح، وأثبتنا عدم معرفتنا العميقة به، وهذا ما يثير سخط الله علينا، وأعني بهذا خطيئة الشكّ والكفر بالمسيح معلّمنا وسيّدنا. أيعقل أن نكون أبناء الكنيسة والإيمان ونحن لا نملك الإيمان؟ السعادة الحقيقيّة، يا إخوتي، هي خارج هذا العالم.

يا لها من فائدة جليلة ننعم بها بانطلاقنا من هذا العالم!! لقد رأى السيّد المسيح ما فيه خير نفوسنا إذ عندما لاحظ، مثلًا، مدى حزن تلاميذه عندما أزمع أن يمضي إلى الآب قال لهم: «لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ» (يو ١٤:٢٨). يعلّمنا السيّد بهذا القول كم ينبغي أن نفرح عند رحيل أحد أحبّائنا من هذا العالم، وألّا نحزن متذكّرين قول الرسول بولس:«لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ.» (في ١:٢١). هنا يعتبر الرسول الموت ربحًا أعظم من الحياة، ولا يستطيع أن نناله في هذا العالم. بالموت نلبّي دعوة المسيح لنا ونفرح بالخلاص الأبديّ. بالموت ننعتق من خطايا الجسد ورذائله، ونتخلّص من ضغط العالم المحزن، ونتحرّر من أنياب الشيطان السامّة.

هناك من يعتقد بأن المرض لا يصيب إلّا غير المؤمنين. ومن هذا المنظار، فالمسيحيّ معفى منه كما لو كانت غاية إيمان المسيحيّ هي اتّقاء الأمراض والأخطار، والتمتّع بسعادة هذا العالم، ناجيًا من كلّ أذى، وارثًا الغبطة الأبديّة من دون أن يتعرّض لهموم هذا العمر وضيقاته وآلامه. والبعض يتعجّب كوننا معرّضين للموت كالوثنيّين وغير المؤمنين ويتساءلون قائلين: ما الفرق إذًا بيننا وبينهم ما دام جسدنا خاضعًا للموت نظيرهم؟ نجيب هؤلاء بقولنا إنّنا نشترك مع كافّة البشر في كلّ خصائص هذا الجسد طالما نحن في هذا العالم. إلّا أنّنا نتميّز عنهم في الروح، أي بلبس هذا الفاسد عدم الفساد وهذا المائت عدم الموت «لِكَيْ يُبْتَلَعَ الْمَائِتُ مِنَ الْحَيَاةِ.» (٢كو ٥:٤)، ثمّ يقودنا الروح القدس بعد ذلك إلى الآب.

فنحن نشترك إذًا مع غير المؤمنين في كلّ شيء. فإذا حصلت مجاعة، أو أصاب الأرض قحط وما عادت تنتج إلّا المحاصيل الضعيفة، فإنّ هذه الظواهر تشمل الجميع. وإن غزا العدوّ مدينة، وسبا سكّانها أو شرّدهم، فهذا يطال الكلّ أيضًا من دون أيّ تمييز بين مؤمن وغير مؤمن. كذلك عندما يحتبس المطر ويتهدّدنا الجفاف. أو إذا تحطّمت سفينة فإنّ الغرق يهدّد كلّ من على متنها من دون فرق. وهكذا يعاني الجميع من أمراض العيون والحمّى وغيرها... طالما نحمل كلّنا هذا الجسد الفاني الواحد بصفاته وضعفاته.

التجربة تطهّر الإنسان المؤمن. فإذا عرف المسيحيّ بأيّ ناموس هو يؤمن، لأدرك حتماً بأنّ عليه أن يتألّم ويتحمّل أكثر من غير المؤمنين طالما هو عرضة لحروب الشيطان بالأكثر، لذلك يقول الكتاب المقدّس: «يَا بُنَيَّ، إِنْ أَقْبَلْتَ لِخِدْمَةِ الرَّبِّ الإِلهِ، فَاثْبُتْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَأَعْدِدْ نَفْسَكَ لِلتَّجْرِبَةِ.» (بن سيراخ ٢:١-٢) وأيضًا «كلّ ما أتاك فاقبله واصبر على الألم في اتضاعك. كن صبورًا، لأنّ الذهب يجرَّب بالنار والناس المقبولون يجرَّبون في أتون التواضع» (بن سيراخ ٢:٤-٥). هاك أيّوب مثالًا إذ لم تخر عزيمته ولم ينهزم بعد أن فقد كلّ ممتلكاته وأبنائه الأعزّاء إلى جانب قروحه ودوده، إنّما على

العكس، أظهر صبرًا وسط بلاياه وأتعابه فقال: «عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَعُرْيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا» (أي ١:٢١). وعندما استفزّته زوجته، لجهلها، لكي يخطئ إلى الله ويجدّف قال لها: «تَتَكَلَّمِينَ كَلاَمًا كَإِحْدَى الْجَاهِلاَتِ! أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟». فِي كُلِّ هذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ بِشَفَتَيْهِ.» (أي٢:١٠) ، ولذلك شهد له الربّ قائلًا لإبليس: «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ أَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ» (أي ١:٨).

أمّا طوبيّا بعد أن عمل الخير والرحمة بنبل وإخلاص، احتمل فقدان بصره، ثابتًا في مخافة الله، ومباركًا إيّاه في خِضمّ آلامه: «وبالرغم من جسده المتألّم كان يزداد شكرًا لله» (طو ١٤:٢). وإذ بدأت زوجته تعيّره أيضًا قائلة: أين هو ربّك؟ فليأت وينظر ما تتحمّله من آلام، أمّا هو فكان يتشدّد ويتقوّى بخوف الله متسلّحًا بإيمانه، ومحتملًا الآلام غير مستسلم لضعف زوجته. وهكذا تزكّى طوبيّا أيضًا بالأكثر ومدحه الملاك رافائيل بعد ذلك: «أَمَّا أَنَا فَأُعْلِنُ لَكُمَا الْحَقَّ وَمَا أَكْتُمُ عَنْكُمَا أَمْراً مَسْتُورًا. إِنَّكَ حِينَ كُنْتَ تُصَلِّي بِدُمُوعٍ وَتَدْفِنُ الْمَوْتَى وَتَتْرُكُ طَعَامَكَ ، وتخبّئ الموتى في بيتك نهارًا وتدفنهم ليلًا، كنت أرفع صلاتك إلى الربّ. وإذ كنت مقبولًا أمام الله كان لا بدّ أن تُمتحن بتجربة. والآن فإنّ الربّ قد أرسلني لأشفيك وأخلّص سارة كنّتك من الشيطان. فإنّي أنا رافائيل الملاك أحد السبعة الواقفين أمام الربّ» (طو ١٢:١١-١٥).

كذلك لم يتذمّر أيضًا الرسل الأبرار بسبب الضيق الذي لحق بهم، بل كانوا يتقبّلون كلّ ما يأتي عليهم بشجاعة وصبر كبيرين بخلاف الشعب اليهوديّ الذي أسخط الله في البريّة بتذمّره الدائم كما يشهد عليهم سفر العدد بقوله: «فَتَكُفَّ تَذَمُّرَاتُهُمْ عَنِّي لِكَيْ لاَ يَمُوتُوا» (عد١٧:١٠). احفظوا ذواتكم من كلّ تذمّر، أيّها الإخوة الأحبّاء، واحتملوا بصبر وشجاعة كلّ ما يحدث لكم إذ إنّه مكتوب: «القلب المتخشّع والمتواضع لا يرذله الله» (مز ٥٠:١٧)، والروح القدس يحذّرنا على فم موسى النبيّ في سفر التثنية فيقول: «وَتَتَذَكَّرُ كُلَّ الطَّرِيقِ الَّتِي فِيهَا سَارَ بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ هذِهِ الأَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْقَفْرِ، لِكَيْ يُذِلَّكَ وَيُجَرِّبَكَ لِيَعْرِفَ مَا فِي قَلْبِكَ: أَتَحْفَظُ وَصَايَاهُ أَمْ لاَ؟ » (تث ٨:٢). وأيضًا: «لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ يَمْتَحِنُكُمْ لِكَيْ يَعْلَمَ هَلْ تُحِبُّونَ الرَّبَّ إِلهَكُمْ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ.» (تث ١٣:٤).

وكذلك أيضًا تجربة إيمان إبراهيم أتت صورة واضحة على رضى الله عليه لعدم تذمّره عندما أمره أن يقدّم اسحق ابنه ذبيحة. إنّ إبراهيم

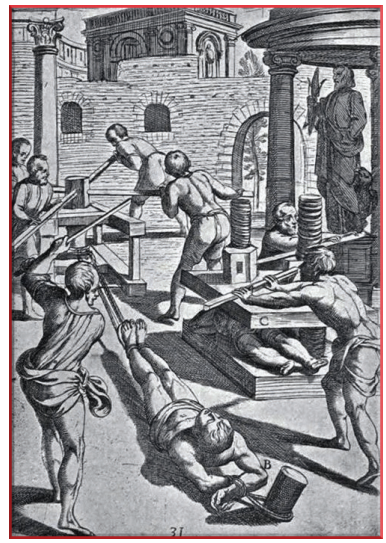

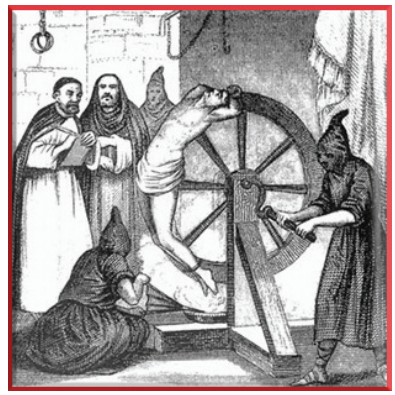

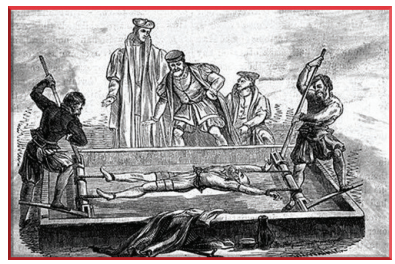

لم يتردّد، ولم يخش فقدان وحيده. فإن كان الإنسان بحالته الطبيعيّة المقترنة بالضعف البشريّ لا يستطيع أن يحتمل فقدان ابنه عندما يأتي موته طبيعيًّا، فكيف يكون حاله إذًا إن أُمر أن يقوم هو بذبحه؟ يحتاج الإنسان، في كلّ وقت، إلى مخافة الله والإيمان القويّ حتّى يكون مستعدًّا لقبول كلّ طارئ محزن سواء كان خسارة ماديّة كفقدان الممتلكات، أو خسارة في الأرواح كموت زوجته أو أولاده أو أحد أحبّائه. على المؤمن الحقيقيّ أن يجاهد ولا يدع إيمانه يضعف أو يخور أو يُسحق، بل، بالحري، فليظهرْ إيمانُه قوةَ نضاله ومدى ثقته بالخيرات المنتظرة التي تجعله يزدري بأحزان هذا الزمان الحاضر. وعلينا أن نعلم بأنّه إن لم تكن هناك معركة، فلن يكون هناك انتصار، وبالتالي لن تكون هناك أكاليل للظافرين. إنّ الربّان الماهر يُعرف وسط العاصفة، والجنديّ يُختبر في ميدان القتال. وهكذا أيضًا، فاجتياز الضيقات هو اختبار للفضيلة وإظهار للشجاعة الحقيقيّة. إنّ الشجرة ذات الجذور الضخمة لا تتزعزع مهما عنفت العاصفة، والسفينة التي يقودها طاقم ماهر لا تترنّح متى لطمتها الأمواج ولا تتكسّر. وهكذا أيضًا عندما يدرس الفلّاح القمح في الأجران لا يترسّب منها في الأسفل سوى الحبّات الثقيلة، أمّا التبن فيتطاير بعيدًا عند أوّل نفخة ريح.

كم من مرّة تعرّض القدّيس بولس للغرق ولانكسار السفينة إلّا أنّه بقي راسخًا لم ينله حزن ولا تأسّف، بل حملت له الجلدات والعذابات القاسية جزيل الفائدة، إذ بقدر ما احتمل من أحزان بقدر ما نال من تزكية وتعزية وشجاعة لذلك يقول: «وَلِئَلاَّ أَرْتَفِعَ بِفَرْطِ الإِعْلاَنَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلاَكَ الشَّيْطَانِ لِيَلْطِمَنِي، لِئَلاَّ أَرْتَفِعَ. ٨مِنْ جِهَةِ هذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي. ٩فَقَالَ لِي:«تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ».» (٢كو ١٢:٧-٩). فمتى كنّا ضعفاء وعاجزين عندئذ تكمل قوّتنا، وإن جاهدنا يتثبت إيماننا ونتكلّل، كما هو مكتوب: «كما أنّ الأتون يمتحن أواني الخزف هكذا امتحان الإنسان في تفكيره» (بن سيراخ ٢٧:٥).

إنّ الفرق شاسع بيننا وبين من لا يعرفون الله إذ نراهم دائمي التشكّي والتذمّر إبّان الضيقات، أمّا نحن المؤمنين، فالضيق لا يثنينا عن حياة الجهاد لبلوغ الفضيلة وعن الإيمان بالحقّ. بمكابدتنا الآلام يقوى إيماننا ونزداد صلابة وقوّة على الاحتمال. فالمؤمن بثباته في الاحتمال ينال المكافأة على الضيق والأمراض التي تستنفذ كلّ قواه الجسديّة. كلّ هذه الإصابات والخسائر الجسديّة تساهم في تزكية الإيمان، وتعطي مجدًا

وبركة للروح التي تحتمل بقوّة وهدوء الهجمات المتعدّدة والمتكرّرة. فيا لسموّ تلك النفس التي تنتصب ثابتة وسط هذه الأمراض، ولا تسقط مع الذين لا رجاء لهم في المسيح، بل تفرح منتهزة الفرصة التي وهبها لها الله لكي تتقدّم وتسير في الطريق الضيّق الذي سار فيه الربّ، وتنال المكافأة على أتعابها التي كابدتها بإيمان وطيد. فمن يخاف من الموت يبرهن أنّه لم يولد بعد من الماء والروح، ولم يختبر صليب المسيح وآلامه. إنّه يخاف الموت لأنّه ينتظر بعد الموت موتًا آخر، أي النار الأبديّة والعقاب الدائم. من يخاف الموت يفرح بعمره المديد إذ يُتاح له تأجيل تنهّداته وتأوّهاته. الإنسان البارّ لا يخشى الموت أبدًا. المسيحيّ المؤمن حقًّا يعتبر الموت انتقالًا وتحرّرًا من رباطات هذا العالم. إذا كان الموت هو كارثة بالنسبة لليهود وللوثنيّين ولمن لا يعرفون المسيح، فهو على العكس بالنسبة لخدّام الله إذ إنّه سبب نياح وراحة وخلاص. من الواضح أنّ الموت يصيب الجميع الأبرار والأشرار، وكلّهم يخضعون لجسد الموت هذا الصالحون والطالحون على السواء، إلّا أنّ الأبرار يذهبون إلى الراحة الأبديّة، أمّا الأشرار فإلى العذاب الأبديّ. لقد استفاد الصالحون الذين أرضوا الله من مناسبات عديدة في هذه الدنيا لكي يربحوا الملكوت. فالعذارى انتقلن من هذا العالم بسلام داخليّ، مكلّلات بإكليل المجد بلا وجل من تهديدات أعداء المسيح، وبلا خوف من شرّ الحكّام واضطهادهم، ولا من إفساد عفّتهنّ. بالموت ينجو الأولاد من تحمّل الضيقات التي تفوق قدرة عمرهم البريء وعودهم الطري، إذ يتخلّصون من التجارب الصعبة، وينالون السعادة والغبطة بفضل نقاوتهم. بالموت لا تعود الفتاة المدلّلة تهاب مضطهديها ومعذّبيها. إنّ الخوف الذي يُحدثه الموت الحتميّ في النفوس وبخاصة في الأوقات العصيبة (كالتي تفرضها علينا الحروب أو الأمراض وما شابهها...) يمد النفوس اللامبالية أو ربّما الخائرة بالحميّة والقوّة، ويحفز غير المؤمن لكي يعود إلى إيمانه، ويدعو الكفّار إلى التوبة، ويدعو الشباب إلى دخول المعركة، والشعب المؤمن إلى طلب الراحة الأبديّة. أعداد وافرة من فئات مختلفة من الناس تستعدّ لمواجهة الموت في كلّ وقت وساعة طالما تحمل هذا الجسد القابل الموت والفساد.

أيّها الإخوة الأحبّاء، ما المغزى من ترادنا هذا لذكر الموت؟ نعم، قد يكون الموت وباء مرعبًا يفتك بالناس ولا ينجو منه أحد. بيد أنّه في الوقت ذاته يُختبر فيه برّ كلّ إنسان، وتُمتحن أفكار الناس، ويُكشف مدى اهتمام الأصحّاء بالمرضى، وترفّق الإنسان بقريبه، وعطف السادة على الخدّام، واستجابة الأطبّاء لصرخات المصابين. نعم، إنّ هذا الوباء يحثّ القساة لكي يتخلّوا عن قساوة قلوبهم، ويوحي للجشعين بالابتعاد عن محبّة المال، وينبّه المتشامخين ليحنوا رقابهم وداعة واتّضاعًا، ويأمر الأشرار أن ينزعوا عنهم شرّهم وفسادهم. إنّ هذا الوباء يعلّم المسيحيّين ألّا يخافوا إذ يجعلهم يشتاقون للاستشهاد، فيمسي ذكره تدريبًا لهم على الثبات في الإيمان والتأمّل في ساعة خروج النفس من الجسد استعدادًا لربح الإكليل.

ربّما يعترض البعض قائلين: إنّ المرض الذي حلّ بنا سبّب لنا الكدر الكبير إذ حرمنا من نعمة الاستشهاد واحتمال الآلام، وبهذا يضيّع علينا فرصة ثمينة. يجب أن تعلم، أوّلًا، بأنّ الاستشهاد هو هبة من الله فاحص القلوب والكلى، والعارف الخفيّات، وهو سوف يكافئك على هذا الشوق الذي يعتمر في قلبك، وإن كنت لم تحققه بالفعل. هل قتل قايين أخاه عندما كان يقوم بتقديم الذبيحة؟ إنّ الله، بسابق علمه ومعرفته، أدان القتل الذي رآه داخل قايين. فكما رأى الله هذا الفكر الشرّير والنيّة السيّئة، هكذا أيضًا يرى هذا الاشتياق للاستشهاد داخل من يشتهيه. فالله الديّان يكلّل القصد والنيّة في عمل الفضيلة. من الثابت أنّ هناك فرقًا بين أن تكون لديك هذه النيّة أو لا تكون، أو إن لم تسمح لك الظروف بتحقيقها رغم ترقّبك لها، واعلم أنّ دينونة الله ستكون على حسب ما في قلبك. فالله نفسه شهد قائلًا: «فَسَتَعْرِفُ جَمِيعُ الْكَنَائِسِ أَنِّي أَنَا هُوَ الْفَاحِصُ الْكُلَى وَالْقُلُوبِ» (رؤ ٢:٢٣). إنّ الله لا يطلب منك الدم بل الإيمان. فإبراهيم واسحق ويعقوب لم يستشهدوا بسفك الدم، ولكنّهم، رغم ذلك، كُرّموا لعظيم إيمانهم وبرّهم، فاستحقّوا أن ينالوا المجد والإكرام. وسوف يجتمع على مائدتهم السَمَاويّة كلّ من كان أمينًا وبارًا وجديرًا بالمديح. لنكن منطقيّين مع ذواتنا إذ كيف نطلب في صلاتنا أن يمنّ الله علينا بالخضوع لمشيئته تحقيقًا للصلاة التي علّمنا إيّاها (لتكن مشيئتك)، بينما نعصى أمر الموت كالعبيد المتكبّرين المتصلّبي الرأي، فيكون رحيلنا كرهًا وليس طاعة لإرادة الله، وبعدها ننتظر المكافأة السماويّة في السماء من الذي أتينا إليه رغمًا عنّا وبعكس رغبتنا؟!! فلماذا نطلب بحرارة أن يأتي ملكوته إذا كانت تأسرنا لهذا الحدّ الأمور الأرضيّة؟ وهل نرغب حقًّا في البقاء هنا على هذه الأرض مستعبَدِين للشيطان عوضًا أن نملك مع المسيح؟ إن كان الجواب لا، فلماذا التأجيل إذًا؟

أن يتفجّع الإنسان أمام الموت، هذا يعني أنّه ناقص الإيمان. لقد طلب الربّ منّا تكرارًا، نحن الضعفاء وآخر الناس، بأن ننبّه إخوتنا بألّا ينتحبوا على أحبّائهم الذين نقلتهم دعوة الربّ من هذا العالم، عالمين أنّهم لم يذهبوا للهلاك، بل هم سبقونا، فقط، في الرحيل، وغادرونا كمسافرين، وأسرعوا في الإبحار قبلنا. فلا ينبغي إذًا أن نبكيهم بل أن نغار منهم ونحسدهم، ولا أن نتّشح بالسواد فيما هم يتلألأون بثياب الفرح البيضاء اللامعة البهيّة! لا يليق بنا أن نعطي فرصة لغير المؤمنين كي يسخروا بنا بسبب حزننا المفرط على أولئك الذين ندّعي بأنّهم كانوا يحيون مع الله، كما لو كانوا هالكين. إنّنا بهذا التصرّف ننكر إيماننا، ونخون رجاءنا، ويبدو ما ننادي به وكأنّه وهم وإدعاء كاذب. لا يصحّ أن نظهر الشجاعة في الكلام فقط، ثمّ ننقض بأفعالنا ما نقول. يوبّخ الرسول بولس ويعنّف بشدّة أولئك الذين يغالون في الحزن على ارتحال ذويهم قائلًا: «ثُمَّ لاَ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ، لِكَيْ لاَ تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ. ١٤لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ، سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضًا مَعَهُ.» (١تسا ٤:١٣-١٤)، فهو يصف الذين يحزنون على أحبّائهم حزنًا شديدًا «بالذين لا رجاء لهم». أمّا نحن الذين نحيا بالرجاء، ونؤمن بأنّ المسيح تألّم لأجلنا وقام من بين الأموات، وإنّنا نقيم فيه، ونحيا به، فيجب إذًا أن نؤمن،

أيضًا، أنّنا سنقوم معه ثانية. «من يحيا ويؤمن بي لن يرى الموت أبدًا». قولوا لي، يا إخوتي، لماذا لا نودّ الانتقال من هذا العالم إن كنّا فعلًا نقيم في المسيح ونحيا به ومعه؟ ولماذا نبكي ونكتئب على فراق أحبّائنا كما لو كنّا قد خسرناهم إلى الأبد؟ إنّ المسيح ربّنا وإلهنا يشدّدنا بقوله: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا،وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ.» (يو ١١: ٢٥-٢٦). فإن كنّا نؤمن بالمسيح، وإن كانت لنا ثقة في كلامه وفي مواعيده، وإن كنّا أناسًا خالدين، فلنتقدّم، إذًا، إليه بفرح وثقة، لكي نحيا ونملك معه إلى الأبد، لأنّه هو الذي وعدنا بذلك، ووعده صادق.

بالواقع نحن نعبر بالموت إلى الحياة، ولا يمكن أن نحظى بالحياة الخالدة إن لم نخرج أوّلًا من العالم. فالموت إذًا ليس محطّة نهائيّة لحياتنا على الأرض، إنّما هو انتقال ونقطة إنطلاق من حياة مؤقّتة إلى أخرى أبديّة. فمن لا يحثّ الخطى، إذًا، نحو هذا الخير الأعظم؟ ومن لا يشتاق لأن يتغيّر ويتحوّل إلى صورة المسيح، ويتمتّع بشرف المجد السماويّ؟ لقد أعلن لنا الرسول بولس قائلًا: «إِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ» (في ٣: ٢٠-٢١). وهذا أيضًا ما وعدنا به السيّد عندما وجّه صلاته للآب لكيما نكون معه في المساكن الأبديّة، ونشاركه الفرح في ملكوته حيث قال: «أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ.»(يو ١٧: ٢٤).فمن ينعم بمجد الملكوت السماويّ صحبة المسيح لا يليق به أن يحزن وينوح إذ إنّ الموت يُعتق المختارين من فساد هذا الدهر وانحلاله. أنّ الله نقل أخنوخ لأنّه أرضاه «وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ .» (تك ٥: ٢٤). فالله، إذًا، يؤهّل كلّ من يسرّ به للانتقال من تأثير هذا الدهر ومغرياته. ويعلّمنا الروح القدس بفم سليمان الحكيم بأنّ الذين أرضوا الله يؤخذون باكرًا حتّى لا تغيّر الرذيلة عقولهم ولا تدنّسها بتلبّثهم أكثر في هذا العالم فيقول: إِنَّهُ كَانَ مُرْضِيًا للهِ فَأَحَبَّهُ، وَكَانَ يَعِيشُ بَيْنَ الْخَطَأَةِ فَنُقِلَهُ. خُطِفَهُ لِكَيْ لاَ يُغَيِّرَ الشَّرُّ عَقْلَهُ، وَلاَ يُطْغِي الْغِشُّ نَفْسَهُ.» (حك ٤: ١٠-١١). ونقرأ أيضًا في سفر المزامير: «ما أحبّ مساكنك يا ربّ القوّات تشتاق وتتوق نفسي إلى ديار الربّ» (مز ٨٤: ١-٢)، فالنفس المرضيّة لإلهها تسارع نحو السيّد بلهفة وشوق. فلنتغرّب، إذًا عن العالم، لأنّ كلّ شيء فيه باطل!!

إنّ من يرغب البقاء طويلًا في هذه الدنيا، يثبت أنّه يجد فيها بهجته، وتستهويه ملذّاتها وتغريه. إذا كان العالم يبغض المسيحيّ، فلماذا إذًا يؤثر هذا المسيحيّ البقاء في أرض الشقاء على اتّباع المسيح الذي افتداه وأحبّه؟!! إنّ يوحنّا الحبيب في رسالته يحثّنا على أن لا نسعى إلى محبّة العالم إذ يقول: «لاَ تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلاَ الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الآبِ. لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ: شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ. وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ.» (١يو ٢: ١٥-١٧). فلنكن، إذًا، يا إخوتي الأحبّاء، ذوي نفوس مستقيمة وإيمان غير متزعزع وشجاعة صلبة، سريعين في الخضوع لإرادة الله، ولنقصِ عنّا كلّ خوف من الموت، ومتأمّلين بالخلود الذي يتبعه، بما يتوافق مع إيماننا، غير متألّمين بمرارة على موت أحبائنا. وعندما يحين وقت خروجنا من هذا الجسد الفاني تلبية لدعوة الله لنا، فلنسر نحوه من دون تردّد أو تلكؤ. فلنتحرّر، يا إخوتي، من القيود الأرضيّة، ولا ننس بأنّنا غرباء، ولنبارك اليوم الذي سيعود فيه كلّ واحد منّا إلى منزله الحقيقيّ في فردوس النعيم وفي ملكوت السماوات. فها هوذا العالم يعلن بذاته عن زواله إذ سيفنى بدوره. يا لغبطة أبناء الله المنتقلين عنّا، لأنّهم تخلّصوا من تيّارات الهجمات الشرّيرة وعواصفها سيّما ونحن نترقّب أمورًا أكثر أسىً مزمعة أن تأتي علينا، لذلك، ومن هذه الحيثيّة، يُحسب لنا الانطلاق مكسبًا كبيرًا. لو كانت جدران بيتك تهتزّ أما كنت تغادره بسرعة؟ ولو كنت تبحر في سفينة، وداهمتها العواصف والأمواج أما كنت تطلب العودة إلى الميناء؟ هوذا العالم يترنّح ويتداعى ليس بفعل الزمن إنّما بسبب النهاية التي لا بدّ منها، أفلا تفرح لأنّ الخلاص أتاك بهذا الرحيل المبكّر؟ ألا تشكر الله لأنّك تحرّرت من المتاعب والكوارث التي كانت تتهدّدك؟

علينا إذًا، أيّها الإخوة الأحبّاء، أن نفكّر دائمًا، نحن الذين جحدنا ملذّات العالم، أنّنا نقيم زمنًا قصيرًا في مكان العبور هذا، فأيّ مسافر لا يبادر بالعودة إلى وطنه تاركًا بلاد الاغتراب البعيدة؟ وأيّ ملاّح لا يسرع لرؤية أهل بيته؟ بل كم يتمنّى بحرارة لو تهبّ ريح قويّة تمكّنه سريعًا من معانقة أحبّائه؟ وطننا هو الفردوس حيث يرتع آباؤنا البطاركة القدّيسون، فلماذا لا نهرع لملاقاتهم وإلقاء التحيّة على الأهل والأقارب الذين سبقونا؟ جماعات وجماعات من أحبّائنا وذوينا ينتظروننا هناك، يترقّبون رؤيتنا ومشاطرتهم الفرح. ما أحلى أن يموت الإنسان من دون جزع، وما أهنأ العيش في الأبديّة حيث أجواق الرسل وجماعة الأنبياء وقوافل لا تحصى من الشهداء المكلّلين بالمجد لانتصارهم على الأعداء وعلى الآلام التي كابدوها محبّة بمسيحهم. هناك تتلألأ بالنور الإلهيّ العذارى اللواتي دفعن ثمن جهاداتهنّ ضدّ الشهوات. هناك نال الصالحون المكافآت على إحساناتهم وبرّهم. فلنسرع إذًا، نحن أيضًا، لكي نجتمع بهم ونظهر ظافرين أمام المسيح الناظر إلى شوقنا ورغبة نفوسنا وتوقّد إيماننا، هو الذي يجازي بالمجد ويكرّم من يتوقون إليه بحرارة وشوق.

* *Le chretien devant la mort (Cyprien et Ambroise) collection: Les peres dans la foi. 1980 Edition: Desclee de Brouwer*

# دستور الإيمان

## القديس نكتاريوس أسقف المدن الخمس

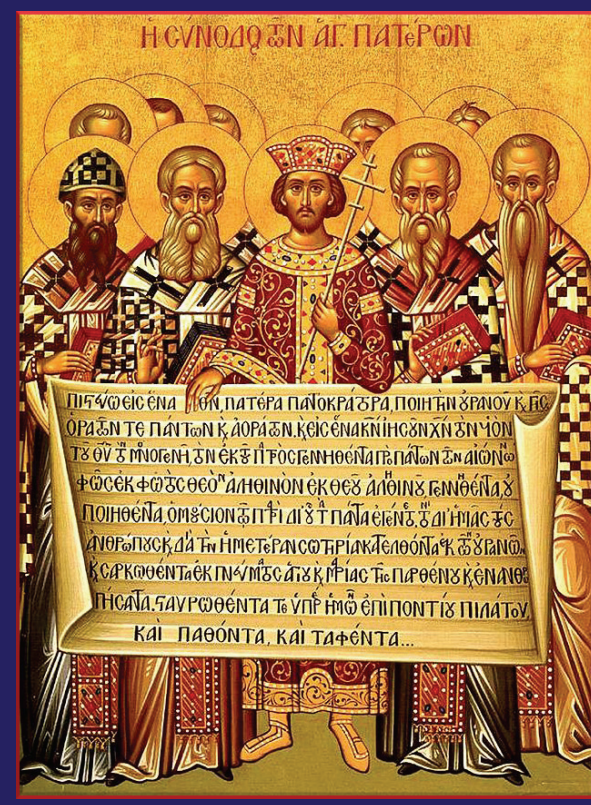


### ١) ما هو دستور الإيمان؟

دستور الإيمان هو اعتراف بإيمان الكنيسة الجامعة الرسولية وتعبير عقائدي عن هذا الإيمان، وهو يتضمّن الحقائق التي تلقّتها الكنيسة من الرسل القديسين، تلاميذ المسيح المخلّص.

هذه الحقائق، لكونها عقائد الكنيسة، حُفِظَت نقيّة، بلا دنس ولا عيب، كما كانت في فلك مقدّس، في حضن الكنيسة الواحدة الجامعة المقدّسة الرسولية.

صاغَت الكنائس المحلية الحقائق الإلهية التي مُرِّرَت إليها في دساتير إيمان، واستعملتها كشعارات للاعتراف بالإيمان الأرثوذكسي، تميّز المؤمنين الأرثوذكسيين. في الحديث عن هذه القوانين، أشار أوريجانس إلى هذا الدستور كما يلي: «هذا القانون هو التعليم المشتَرَك بين كل الكنائس، المسلَّم من الرسل القديسين والمحفوظ في التسلسل ابتداءً منهم إلى هذا اليوم».

الدستور المقدّس الشائع استعماله في الكنيسة اليوم هو الذي صيغ في المجمعين المسكونيين الأول والثاني، على أنه الاعتراف المشترَك للمسيحيين الذين يحفظون الإيمان الأرثوذكسي بحسب الاعترافات القديمة. انعقد المجمع المسكوني الأول في نيقية وصاغ التعبير العقائدي عن الإيمان الحقيقي والأرثوذكسي، المسمّى أيضًا قانون الإيمان أو دستور الكنيسة. هذا التعبير العقائدي صيغ بشكله الحالي في المجمع الثاني الذي انعقد في القسطنطينية (بحسب القديس غريغوريوس النيصّي، العظات التعليمية، الفصل الثالث).

### ٢) ماذا يقول دستور الإيمان الجامع

البند ١) أومن بإله واحد، آب ضابط الكل خالق السماء والأرض وكل ما يرى وما لا يرى.

البند ٢) وبرب واحدٍ يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء.

البند ٣) الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس.

البند ٤) وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقبر

البند ٥) وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب.

البند ٦) وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب.

البند ٧) وأيضًا يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه.

البند ٨) وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء.

البند ٩) وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية.

البند ١٠) وأعترف بمعموديةٍ واحدةٍ لمغفرة الخطايا.

البند ١١) وأترجى قيامة الموتى.

البند ١٢) والحياة في الدهر الآتي. آمين

### ٣) بمَ نعترف من خلال البند الأول من دستور الإيمان؟

من خلال هذا البند، نعترف بأننا نؤمن بإله واحد، آب كليّ القدرة، خالق لكلّ الأشياء، منظور وغير منظور في آنٍ معًا.

### ٤) بمَ نعترف في كلَ كلمة؟

في كلّ كلمة نعترف بحقيقة من حقائق إيماننا المقدّس، ضرورية للاعتراف بهذا الإيمان الأرثوذكسي.

### ٥) بمَ نعترف في العبارة الأولى من الدستور «أؤمن»؟

نعترف بالفعل «أؤمن» بأنّ حقائق الدين المُعلَن للمسيح المخلّص تتخطّى كلّ فهم، كحقائق تتجاوز كلّ تصوّر ولا يمكن مقاربتها بالعقل بل بالإيمان.

### ٦) لمَ يبدأ دستور الإيمان بالإيمان؟

أ) لأن الإيمان هو الوحيد الذي يقود إلى الله.

ب) لأن الإيمان هو الوحيد الذي يصالح الكائن البشري مع الله.

ج) لأنّ بالإيمان فقط يُسَرّ الله بالبشر، كما يؤكّد الرسول بقوله:

« وَلكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاءُ اللهِ» (عبرانيين ١١:٦).

د) لأنّ الإيمان هو عين كل ضمير ينير ويبثّ الحكمة، كما يقول إشعياء: «إن لم تؤمنوا فلن تفهموا» (٧:٩).

## ٧) بمَ نعترف بقولنا «بإله واحد»؟

بعبارة «بإله واحد»، نعترف بوحدة الإله المثلّث الأقانيم. نعترف بأنّ الآب والابن والروح القدس هو إله واحد، أزلي معًا، لا بداءة له معًا، ممتنع عن الإدراك والتغيّر وملك لكلّ كمال [كما تفكّر بالله، عليك أن تفكّر بالآب، حتّى يكون التمجيد المقدّم إلى الآب والابن والروح القدس معًا غير مقسّم (كيرللس الأورشليمي، التعليم ٦)].

## ٨) ماذا نعني بعبارة «آب»؟

نفهم بعبارة «آب» أن الإله الواحد الممجّد في الثالوث هو إله مثلّث الأقانيم، وأنّ في الإله المثلّث الأقانيم نميّز صفات شخصية: آب وابن وروح قدس، وأنّ الآب هو أصل الابن والروح القدس، وبالتالي، نحن نعبّر من خلال عبارة «آب» عن ما يلي:

أ) عن الميّزة الشخصية لله الآب كأوّل شخص في الثالوث القدّوس، ب) قرابتنا وعلاقتنا بأبينا السماوي على أساس التبنّي الذي نلناه بمخلّصنا يسوع المسيح، لأنّ «كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» (يوحنا ١:١٤)، «إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي» (رومية ٨:١٥). يقول كيرللس الأورشليمي: «علينا أن نؤمن ليس بالله وحسب، بل أيضًا بأنّه آب الابن المولود الوحيد ربّنا يسوع المسيح» (التعليم ٧).

## ٩) ما هي آيات الكتاب المقدّس التي تحكي عن الإله الثالوثي؟

لدينا في الكتاب المقدّس كلمات المسيح المخلّص، إذ أرسل تلاميذه القديسين ليعلّموا، أمرهم بما يلي: «إذهبوا وتلمذوا كلّ الأمم معمّدين إياهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨:١٩). أيضًا يقول الإنجيلي يوحنا: «فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ» (١يوحنا ٥:٧). وفي رسالته إلى أهل رومية يقول الرسول بولس: «لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ» (رومية ١١:٣٦)، وبهذا يعلن الله المثلّث الأقانيم. وفي الرسالة الثانية إلى الكورنثيين، يقول أيضاً: «نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ» (٢كورنثوس ١٣:١٤).

## ١٠) بمَ نعترف في قولنا «ضابط الكلّ»؟

نعترف بسيادة الله المطلقة وسلطانه على كل المخلوقات العقلية والحسيّة.

## ١١) بمَ نعترف في قولنا «خالق السماء والأرض، كلّ ما يُرى وما لا يُرى»؟

نعترف بأنّ الله هو الخالق الوحيد للعالم المنظور المُدرَك الذي أوجده من العدم بإرادته الذاتية وصلاحه.

## ١٢) بمَ نعترف في البند الثاني من دستور الإيمان؟

في البند الثاني، نعترف بأننا نؤمن بإله واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كلّ الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد مع الآب في الكيان، من خلاله كُوِّنَت كلّ الأشياء (يوحنا ١:١، ٣:١٥، ٦:٦٢، ٨:٢٨، ١٧:٥ و٢كورنثوس ٧).

## ١٣) ما الاعتراف الذي تحمله عبارة «وبربّ واحد يسوع المسيح»؟

بعبارة «الرب يسوع»، نؤمن ونعترف أ) ألوهة يسوع لأنّه يوجد إله واحد، ب) خلاص البشرية الذي تمّ به، لأنّ اسم «يسوع» يعبّر عن العمل لخلاص البشرية. إذًا، بهذه العبارة نعترف بأننا نؤمن بالإله الإنسان الذي هو مخلّص العالم.

## ١٤) بمَ نعترف بقولنا «يسوع المسيح»؟

نعترف من خلال هذا التعبير بأننا نؤمن بالمسيّا الذي أتى وسوف يأتي مجددًا، الذي توقّعه إسرائيل والأمم، الذي لكونه ممسوحًا (مسيحًا) لله سوف يخلّص البشرية من تسلّط الشيطان، وهذا المسيّا المنتَظَر هو يسوع المسيح.

## ١٥) ما معنى كلمة «مسيح»؟

كلمة «مسيح» تعني الممسوح، أي الممسوح بالزيت، إذ بحسب الناموس القديم، كان الكهنة والملوك والأنبياء يُمسَحون بزيت غالي الثمن ويُدعَون مسحاء او ممسوحين.

## ١٦) لماذا دُعي مخلّصنا «المسيح»؟

دُعي مخلّصُنا «المسيح» (مع أل التعريف) لأنّه كان ممسوحاً بشكل استثنائي وبامتياز فوق كل الباقين، إذ قد ولِد كاهنًا وملكًا ونبيًا. فهذا كان حاله بالواقع لأنّه ظهر الكاهن بامتياز والملك العظيم والنبي الفائق، لكونه مُسِح منذ تكوّنه في رحم مريم الكلية البتولية، ولأنّه كان المسيّا المنتَظَر.

## ١٧) ماذا يقول الكتاب المقدّس عن المسيح؟

يقول كاتب المزامير: «أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ.» (٤٥:٧).

أمّا إشعياء فيقول: « رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ، وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ، لأُنَادِيَ بِسَنَةٍ مَقْبُولَةٍ لِلرَّبِّ » (٦١:١، ٢؛ ٤٢:٧ ولوقا ٤:١٨-٢٠). في تطبيق قول إشعياء على نفسه، قال المسيح للذين في المجمع: «إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ

هذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ» (لوقا ٤:‏٢١). بهذه الكلمات، أعلن يسوع نفسه لليهود على أنه المسيا المنتظَر أو مسيح الرب.

## ١٨) مَن هو أوّل مَن دعا يسوع «المسيح» في العهد الجديد؟

أندراوس هو أوّل مَن دعا يسوع «المسيح»، عندما أعلم أخاه بطرس أنّه وجده: «فَقَالَ لَهُ:«قَدْ وَجَدْنَا مَسِيَّا» اَلَّذِي تَفْسِيرُهُ: الْمَسِيحُ» (يوحنا ١:‏٤١)، من ثمّ، المرأة السامرية، التي تحدّثت إلى المخلّص وقالت له: «قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيَّا، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ، يَأْتِي. فَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ»» (يوحنا ٤:‏٢١، ٢٦). المجوس أيضًا سألوا: «أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟» (متى ٢:‏٤). بطرس دعا يسوع بالمسيح، أي المخلّص، عندما سأله السيد عمّن يكون:«أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ!» (متى ١٦:‏١٦). يسوع نفسه سمّى نفسه المسيح: «حِينَئِذٍ أَوْصَى تَلاَمِيذَهُ أَنْ لاَ يَقُولُوا لأَحَدٍ إِنَّهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (متى ١٦:‏٢٠). يوحنا السابق سأل السيد عِبر تلاميذه: «أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟» (متى ١١:‏٢) . ورئيس الكهنة استحلف يسوع باسم الإله الحي أن يقول لهم: «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟» (متى ٢٦:‏٦٣). وملاك الرب الذي أعلن ميلاد يسوع للرعاة سمّاه المسيح بقوله: «أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ» (لوقا ٢:‏١١).

## ١٩) إلامَ تشير كلّ هذه الآيات؟

هذه الآيات تشير إلى أنّ اليهود كانوا ينتظرون المسيا المسيح ويعتقدون أنّه ابن الله ومخلّص العالم.

## ٢٠) هل يظهر اسم المسيا (أي المسيح) في العهد القديم؟

في العهد القديم، لا يظهر اسم المسيا إلا في المزمور الثاني وكأنه بالتفسير الاستنتاجي. إلا إن اسم المسيا يبدو على أنّه الاستدلال المنطقي لكل الأقوال النبوية في العهد القديم وحتى لكل تقليد اليهود المقدس الذي يبدأ مع البطريرك يعقوب (بحسب النص العِبري): «لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ»، أي أنّه المسيح الذي تنتظره الأمم (تكوين ٤٩:‏٩، ١٠).

## ٢١) كيف يُوصَف شخص المسيا الآتي؟

بدايةً، شخص المسيا ومجيئه موصوفان في العهد القديم بشكل باهت وخافت (مثلًا تكوين ٣:‏١٢، ١٨:‏١٨، ٢٢:‏١٦، ٢٨:‏٤، ٢٩:‏١٠). لاحقًا، الخفوت والبهتان يبدآن بالتلاشي، إذ تبدأ الأمور بالاتّضاح، وشكل المخلّص يصير أكثر صفاءً (تثنية ١٨:‏١٥–١٨، مزمور ١١:‏١٠٩، إشعياء ٧:‏١٤، ٥٠:‏٦، ٥٣ حزقيال ٣٤:‏٢٣–٣١، دانيال ٩:‏٢١–٢٧). من ثمّ، يتحدد زمان مجيئه تدريجيًا (دانيال ٩:‏٢٤–٢٧، حجاي ٢:‏٦–١٠، ملاخي ٧). الشيء نفسه يحدث للمنزل والذرية التي منها سوف يُولَد (ملوك الثاني ٢:‏١٦، إشعياء ١١:‏١–٣)، المكان (ميخا ٥ وتفاصيل ميلاده (مزمور ١٠١:‏١٠–١١، إشعياء ١١:‏١–٣)، حياته (إشعياء ٩:‏١–٢، ٢٦:‏١٩، ٣٥:‏٣–٦، زخريا ٩:‏٩)، موته (مزمور ٨٠:‏١١–١٢، ٤٠:‏١٠، ٩٣:‏٢١، ٤٨:‏٢٢، زخريا ١١:‏١٢–١٣، ١٢:‏١٠، إشعياء ٥٣:‏٧) وقيامته (مزمور ٧٠:‏٢٠، يهوشع ٦:‏٣، إشعياء ٢، ٦٠، وإرمياء ٢٣:‏٦، ٣٠:‏٣١، ويهوشع ٢:‏١٨، يوئيل ٢:‏٢٨، عاموص ٩:‏١١، عوبديا ١٧، يونان ١:‏١٧، ناحوم ١:‏١٥، حبقوق ٣:‏٢، صفنيا ٣:‏١٤، حجاي ٢:‏٨، زخريا ٢:‏١٠، ١٤:‏٨).




## فتشوا الكتب

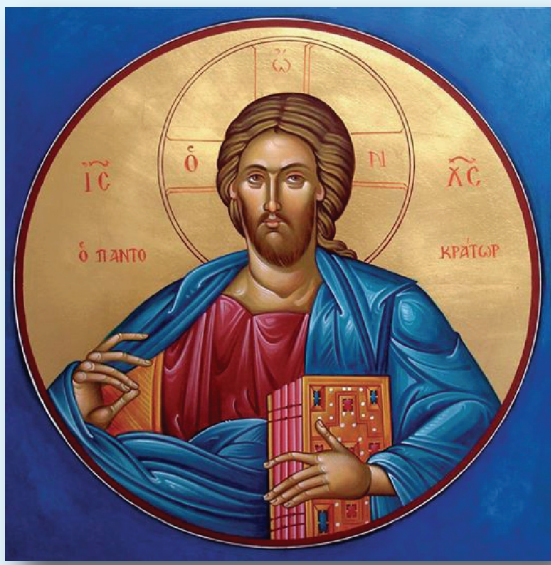

**نقرأ في إنجيل يوحنا، قول الرب لليهود: «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهي التي تشهد لي. ولا تريدون أن تأتوا إليَّ لتكون لكم حياة» (يو ٥: ٣٩ و٤٠). ولا نكاد نصل إلى عبارة «لأنكم تظنون»، حتى نحس أن هناك شيئًا غريبًا في هذه العبارة، ولكن يصبح المعنى واضحًا إذا علمنا أن فعل الأمر «فتشوا في أول الآية، ليس أمرًا بل فعلًا خبريًا»، أي «إنكم تفتشون الكتب». وقد جاءت هذه الآية في كتاب الحياة (ترجمة تفسيرية): «أنتم تدرسون الكتب لأنكم تعتقدون أنها ستهديكم إلى الحياة الأبدية. هذه الكتب تشهد لي. ولكنكم ترفضون أن تأتوا إليَّ لتكون لكم حياة». كما جاءت في ترجمة ببيروت الكاثوليكية: «أنتم تبحثون في الكتب لأنكم تحسبون أن لكم فيها الحياة الأبدية، فهي التي تشهد لي، وأنتم لا تريدون أن تقبلوا إليَّ لتكون لكم الحياة».**

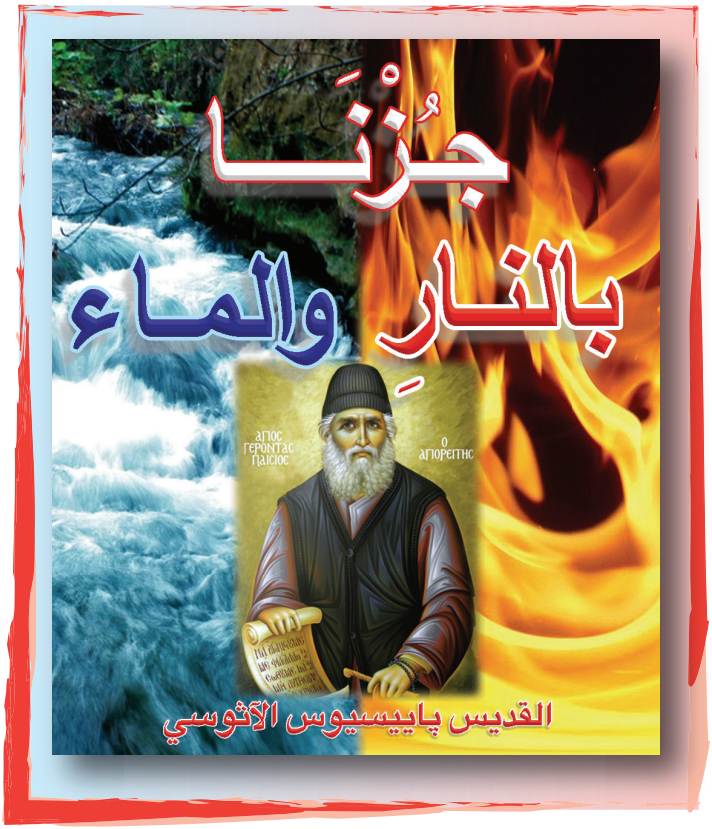

## ✝ الصلاة من أجل المرضَى ✝

**✝ ياروندا، طلبَ منّا بعض الأشخاص أن نخبرك حتّى تصلّي من أجل طفلٍ مريضٍ، وهم يوَدّون أن يعرفوا إذا كان سيتحسّن. فماذا نقول لهم؟.**

✝ قُلن لهم ، «سيُصَلّي الشيخُ من أجل هذا الطفلِ. فالمسيح يُحبُّه وسيفعل كُلّ ما ينفعه. فإذا رأى أنّ الطفل سيكون صالحًا عندما يكبرُ، فسيستمع لصلاتي. أمَّا إذا رأى أنَّه لنْ يكونَ في حالةٍ روحيّةٍ جيِّدة فيما بعد، فسيأخذهُ لأنّه يُحبّه». «أسألوا يُعطَى لكم». سَواء عاش المريضُ أو ماتَ. سأبتهج لأنَّ الفرصة سنحَتْ لي للصلاة من أجله.

**✝ ياروندا، هل من الجيِّد أن نصلّي من أجل صِحَّتنا؟.**

✝ مِنَ الأفضَل أن نطلبَ معونة الله ليُحرِّرنا مِنْ أهوائنا. بكلمات أخرى، يجب أنْ نُطلبَ أولًا ملكوت السماء. إذا تضرّعنا إلى الله حتَّى يشفينا، فنحن نبدّدُ بذلك ممتلكاتنا السماويّة. أمَّا إذا لَمْ نقدر علَى تحمّل أوجاعِ مرضنا، عندئذ يمكننا أن نَطلبَ من الله أن يشفينا، وهو سيتصرّف بحسبِ ما يوافقنا.

**✝ ياروندا، هل تعتمد استفادة المريض من الصلاة أو عدم استفادته على ما يطلبه هو نفسه من الله؟.**

✝ المريض الذي يطلب من الله أن يشفيه فقط، ولا يصلّي من أجل صحةِ غيره من المرضى لا يفعلُ حسنًا. عندما كُنتِ، أيّتها الأخت، في العالم، كُنتِ تعملين بالمستشفَى. ماذا كنتِ تَفعلين إذا عجزَ المرضَى عن ترداد صلاةِ يسوع؟

– كُنتُ أردّدها لهم، ياروندا؟

– نعم، هذا مفيد لكِ، لكنَّ المرضَى يَجب أن يُصَلُّوا أيضًا.

– كان أحد المرضَى يصلِّي قائلًا: «يا عذرائي»، أو «خلِّصيني يا عذرائي». لكن، ياروندا، هل تُعتبرُ مثابرتنا ومواظبتُنا في تحمُّلِ الألمِ شكلًا من أشكالِ الصلاةِ؟

– نعم، بالضبط! عندما يطلبُ انسانٌ ما منكِ أنْ تُصَلِّي من أجله، لأنّه سيدخلُ المستشفَى في اليوم الفلاني، ليجري عمليّةً جراحيَّةً، فعليكِ أن تبدأي الصلاة منذُ اللحظة التي طلبَ منكِ فيها ذلك. لا تنتظري حتَّى يدخلَ غرفةَ العمليات لتصلِّي من أجله. في خِدَم الكنيسة، عندما يقول الكاهنُ: «لنصَلِّ من أجلِ شفاء المطروحين في الأمراض ...». تُجيب قائلين بألمٍ قلبيّ: «يَا ربُّ ارحمْ». لكن إذا انتظرت حتى تسمعي الطبقة «دو» لكي تقولي بأُسلوب موسيقيّ «يا ربُّ ارحم»، فسيتركّزُ ذهنُكِ على الطبقة «دو» وعلى اللحن. أمَّا المرضَى التعساءُ فسيبقونَ في انتظار بعض المساعدة منكِ. فهُمْ يتألّمون، أما أنتِ فلا تُعانين من أيِّ وجعٍ، لهذا يتوجَّب عليكِ أن تصلّي لهم بألمٍ لينالوا المعونةَ. وبما أنَّكِ لَا تتنهّدين على سرير المرضِ، فعلى الأقلّ تنهّدي في صلاتك من أجل المرضَى. إذا لم يُصلِّ الإنسانُ السليمُ من أجل المرضَى ولو قليلًا، فسيقول له المسيح في المستقبل: «لقد تنعّمت بصحتّك ولم تُصَلِّ من أجلِ المتألّمين؟ أنا لا أعرفُك ...»

إذا لم تصلّي من أجل المرضَى، فالمرضُ سيأخذُ مساره الطبيعيّ. أما إذا صلينا لهم، فهناك إمكانيَّةٌ أن يغيّر مساره.

# العهد القديم في الكتاب المقدس (١٠٢)

## (ب) حُكم المكابيين (الحشمونيين)

### ٣) يوناثان القائد الجديد (١٦٠-١٤٢ ق.م.):

هو الابن الأصغر لمتاثياس وقد استأنف الحرب بعد موت أخيه يهوذا وكان بكيديس يواصل الحرب ضد اليهود، وبسبب قلّة جنوده كان يحتمي بالأراضي المنخفضة للأردن (١مك ٩:٤٢)، وهرب المحاربون إلى بريّة تقوع حيث بقيت الثورة المكابية حية تحت زعامة القائد الجديد يوناثان وشقيقه سمعان، وخاض يوناثان حرب العصابات وكان يتحصّن بالقرى ويقطع طُرق الامدادات عن الجيش السوري، وبعد انتصاراته توقّف أخيرًا القتال، وتفاوض بكيديس مع يوناثان، وكوّن يوناثان حكومة معارضة في مخماس شمال شرق أورشليم (١مك٩: ٧٠-٧٣) وابتدأ يزداد نفوذه، وكان يوناثان في شدّة الذكاء وعيّنه ديمتريوس رئيسًا للكهنة (١مك١٠: ١-٢١) وتمكّن يوناثان من إعفاء بلاده من إرسال الجزية إلى سوريا، ووسّع حدود مملكته إلّا أنّ ديمتريوس نجح في زرع بذور الشقاق بين اليهود فاستمال إليه فئة الحسيديين، وهم كانوا من أتباع يهوذا المكابي لكنهم انشقّوا عنه بسبب استيائهم من تصريح يهوذا بجواز القتال في يوم السبت، كما أنهم لم يستحسنوا ارتقاء الأسرة المكابيّة إلى رئاسة الكهنوت، ويرون أنه يجب حصر الكهنوت في سلالة هرون، وفي أثناء ذلك حدثت اضطرابات في سوريا فانحاز يوناثان إلى إسكندر بالاس ضد ديمتريوس في صراعهما على العرش السوري، وفي سنة ١٥٣ ق.م. اعتلى إسكندر بالاس العرش السلوقي (١مك١٠: ١) وانتهز يوناثان الفرصة وأخذ يمد سلطانه على مُدن اليهودية ويثبت حكمه بضربات عسكرية، وفي سنة ١٥٢ ق.م. منح إسكندر بالاس سلطة مدنية في حكم أورشليم، وقد استمرّ عشر سنوات تحققت فيها أهداف الثورة المكابيّة إذ نالت الاستقلال، ومع أن اليهودية لم تحصل على الاستقلال التام وظلّت ولاية داخل الامبراطورية السلوقية، إلّا أنها كانت تتمتّع بالحكم الذّاتي، وقد حافظ يوناثان على استقلال بلاده متخذًا طريق الحيلة والسياسة بدلًا من القوة العسكرية، واستفاد يوناثان من النزاع بين الملوك السلوقيين فكان يضرب المتنافسين على عرش السلوقيين الواحد منهم بالآخر ليقوي مركزه باليهوديّة، وسعى الى التحالف مع روما، ولكن بعد موت أسكندر بالاس أسَرَه تريفون وسجنه وأمرَ باغتياله في سنة ١٤٢ ق.م. (١مك١١: ٨ - ١٢: ٤) وانتقلت القيادة إلى سمعان.

### ٤) سمعان ملكًا ورئيسًا للكهنة (١٤٣-١٣٥ ق.م.):

هو الابن المتبقي من أبناء متتيا وباعتلائه العرش بدأ الفصل الأخير في الثورة المكابية، وكان قد رأس الحرب أثناء أسر أخيه يوناثان وكان قائدًا ناجحًا فأخذ جازر ويافا وجامينا القريبة من العاصمة وطرد العدو من حصن أكرا القلعة التي كانت تُلقي الخوف في سكان أورشليم، وأزال عن المدينة المقدسة كل أثر وثني، وهي إنجازات باهرة لم يستطع أن يحققها يهوذا المقاتل القوي أو يوناثان السياسي الذكي، واستأنف سمعان لعبة أخيه الجريئة في ضرب الملوك المتنافسين إذ ادّعى الولاء لديمتريوس، فكان الثمن الذي ناله هو أنه منحه الملك الاستقلال التام، وكان وقتها سمعان في مركز قويّ يسمح له أن يطلب ذلك الطلب إذ كان يحظى بمناصرة الشعب له (١مك١٣: ٩)، وجمع سمعان في يده السلطة المدنية ورئاسة الكهنوت، وفي سنة ١٤١ ق.م. عقد إجتماعًا هامًا ابتهاجًا بالنصر، وبدأ الاستقرار بعد نهاية حروب طويلة وحلّ أوان جمع الثمر، وازدهرت البلاد فنشطت التجارة خاصة بعد الاستيلاء على يافا، ففتح الطريق إلى البحر المتوسط وبدأت تزدهر الصناعة.

واقتدى بأخيه يهوذا فأرسل سفارة إلى روما يطلب حمايتها فنال الموافقة على طلبه وكان قد مرّ ٢٥ سنة على بدء الثورة التي أشعلها أبوه متتيا، وعيّن ابنه يوحنا على أورشليم. وضمن له مجلس الشيوخ الحقّ في رئاسة الكهنوت في العائلة ومن ذلك الوقت صارت وظيفة رئيس الكهنة تنتقل إرثًا في العائلة (١مك١٤: ٤١-٤٧)، كما ضمنت له روما السلطة المدنية رغبة منها في إضعاف نفوذ السلوقيين أمام روما الناشئة كقوّة جديدة، وتحرّك في سنة ١٣٩ ق.م. أنطيوخوس السابع آخر ملوك السلوقيين الأقوياء لتثبيت حقوقه في مدن اليهودية، وكان سمعان تقدمت به السن فأرسل إبنيه يهوذا ويوحنا لمواجهة التهديد السوري وقد تحقق لهما النصر ... وانتهز بطلماوس صهر سمعان حالة السلام لتولي رئاسة الحزب اليوناني المناهض والذي كان شأنه قد انحط ودعا ابنيه يهوذا ويوحنا إلى وليمة أعدها لهم، ووقع سمعان وابنه يهوذا فريسة لغدر صهره إذ قتلهما بينما هرب ابنه يوحنا ونجا من الاغتيال (١مك١٦: ١١-١٦)، وبهذا المشهد المؤسف أسدل الستار على حياة آخر بطل من أبناء متتيا الخمسة، فإثنان منهم لقيا مصرعهما في المعارك هما يهوذا وأليعازر، وثلاثة أغتيلوا غدرًا هم يوحنا ويوناثان وسمعان (١مك١٦: ٣٦).

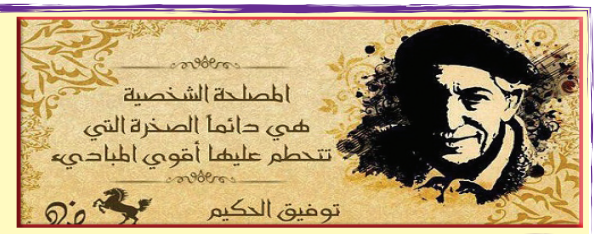


لكُلّ أمرٍ جَرَى فيهِ القَضَا سَبَبُ، والدَّهرُ فيهِ وفِي تصريفِهِ عَجَبُ
مَا النَّاسُ إلاَّ مَعَ الدُّنْيا وصَاحِبِهَا فكيفَ مَا انقلَبَتْ يَوْمًا بِهِ انقلبُوا
يُعَظِّمُونَ أخا الدّنْيا، فإنْ وثَبَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا بما لا يَشتَهي وَثَبُوا
لا يَحْلِبُونَ لِحَيٍّ دَرَّ لَقحَتِهِ، حتى يكونَ لهمْ صَفوُ الذي حَلَبُوا

# سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

## الفصل العاشر

وبعد أشهر من العمل الجاد، وفي الخامس عشر من كانون الأول من العام ١٨٨٩، أتت الترقية الأرفع لتطرق باب نفسه: لقد انتخِبَ أسقفًا.

لم يكن ذلك قد خطر بباله مرّةً، ولم يطلبه أبدًا. ولم يكن ينتظره. لكن الأحداث في مصر تتابعت بسرعة كبيرة: العمل والمسؤوليات والأمجاد فجأة رقد نيلوس متروبوليت المدن الخمس، فاختار البطريرك صفرونيوس نكتاريوس، مفضّلًا إياه على اثنين آخَرَيْنِ من المرشَّحِنَ لهذا المنصب.

وقد سيم متروبوليتًا للمدن الخمس في كنيسة القديس نيقولاوس نفسها مع كل ما تتضمنه الليتورجيا البيزنطية من الروعة، على يد البطريرك، وبرفقة أنطونيوس متروبوليت كورفو السابق، وبورفيريوس متروبوليت سيناء. هذا ولا يمكن أن تُمحَى وثائق ذلك الانتخاب والتنصيب.

وتذكّر نكتاريوس كم كان جاف الحلق، وكم ارتعدت شفتاه في ذلك الأحد، خلال تلك الخدمة الليتورجيّة التي لا تُنسَى، والتي احتُفل بها بكل الأبّهة البطريركية. وكيف انه وقف أمام الباب الملوكي يعترف بالإيمان الأرثوذكسي:

«برحمة الله، أنا نكتاريوس، المتقدّم إلى كرسي المدن الخمس المقدّس، أوقع بيدي ...».

لقد رُقيَ إلى الكرامة الأسمى، والدرجة الروحية العليا. فأُلبِسَ التاج والحُلة الأسقفية وبدأ مهمة جديدة.

لكن كيف أحبّه الشعب إلى هذا الحد، وتعرّف إليه بهذه السرعة؟ لقد ذاع صيته في المدينة كلّها. هذا الصيت الخطير والمدمّر: من هو لكي يحبه الناس بهذه القوة، ويتكلموا عنه بهذا المقدار؟ «ما الإنسان إلّا نفخة تَمرّ ولا تعود».

أما بالنسبة إليه، هو التافه، المأخوذ من التراب، الذي أغدق عليه الرب المخلّص أعظم الخيرات، فأية مصيبة تحلّ به إذا نَسِيَ مَن يكون، أو أَخَلَّ بوعده، أم نام على أمجاده ورَضِيَ بمغريات العالم؟ «كان الأفضل له ألّا يولد».

وتعاظم صيته، وكان ذلك مثل السم الذي يلسعه كالسوط. لقد كان من عادة والده الفلاح، العامل البسيط من سيليفريا، أن يقول له:

– « يا بني، إنّي أُفضِّل أن أكون حبة قمح بدل حجر الماس».

– « ماذا تقول يا أبي؟ نحن نريد أن نكون أحجارًا من الماس!».

ولكن الوالد كان يجيبهم مبتسمًا هو أيضًا كالأطفال:

– «يا خرافي الصغار، إن الذي يتسلّق الجبل ويرتفع ويبني، يُحدث ضجة، شاء ذلك أم أبَى. فتأتيه عندها البركات واللعنات».

البركات واللعنات! لقد كنت على حق يا أبي: أنظر اليّ الآن، إني مسافر إلى المنفى.

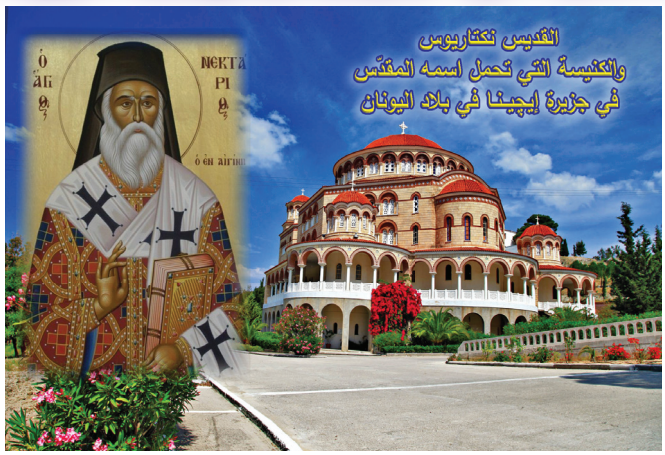


لقد بقي صامتًا من الدهشة في وجه الافتراءات، رغم انه طُرد، وَشُتِمَ، واحتُقِرَ. وها هو الآن في طريقة إلى أثينا، إلى اليونان القديمة عاصمة بالاس، التي تُعاني من وطأة السياسيين والمثقفين. كان مفلسًا، يحمل حقيبتين أو ثلاثًا، ومجموعة من المخطوطات التي تنتظر الناشر، وبعض الكتب، وقلبه المتألم.

في السماء طائر يطير عاليًا: أهو نسر؟

ودون أن يفكّر، نهض نكتاريوس من كرسيه وفتح يديه مصليًا: «يا أبتاه اغفر لهم هذه الخطيئة. أنر عقولهم ليعودوا إلى أنفسهم ويعترفوا بخطاياهم، وينالوا الغفران الذي منحتنا إياه بدمك الثمين. وخصوصًا أيها الأب الكثير الرحمة، اغفر للبطريرك: فهو شيخ وقد تعرّض للخدعة. وكثيرة هي المسؤوليات التي تُرهق كتفيه الضعيفتين! في جميع الأحوال يجب أن أحفظ جميله إلى الأبد». وإذ أنهى صلاته تبيّن له باندهاش أن المركب قد ترك المحيط الليبي وهو يقترب من الأتّيكي. وسمع صوتًا دافئًا يقول له:

– «يا صاحب السيادة، إن القبطان يدعوكَ إلى مكتبه لتناول المانغا، فقد فتح الصندق لتوّه».

فاستدار نكتاريوس متعجبًا، ورأى رئيس الخدم بلباسه الجميل. وتمتم:

–«يا إلهي، لقد نسيت أين أنا. ماذا حصل لي؟ ... إنها الذكريات، همسات الماضي!»

وأجاب رئيس الخدم قائلًا:

– أشكرك يا ولدي. انقل امتناني إلى القبطان، ولكني أُفَضّل النزول إلى حجرتي. أين نحن الآن؟

– في بحر إيجه.

– في بحر إيجه! إن الطقس جميل. ليتمجّد الربّ

فسأله الشاب باندهاش:

لقد بقيت وحيدًا لساعاتٍ طوال ... ألا تشعر بالبرد؟

– لا أعتقد، قال نكتاريوس. لا بأس، لا بأس على كل حال.

ونظر إلى الشاب بحنان، واستطاع أخيرًا أن يبتسم.

# الأرثوذكسيّة (٦١)

## قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار



قاعدة الإيمان

### ماذا يُعلِّمنا المجيء الثاني؟ – تتمة

إنَّ حقيقة أن يحيا الإنسان باستعداد تام لمجيئه تحكيها لنا الحياة العاديّة. بعد انتهاء مباراة كرة القَدم يُحدِّد المدرب ميعادًا مناسبًا ليُعيد فيه مع الفريق رؤية المباراة المُسجَّلة على شريط ڤيديو. سوف تُدرك من ذلك أنّ جمّ اهتمام اللاعبين في المباراة هو تنفيذ تعليمات وخطّة المدرِّب. قد لا يَعلَم المشاهدون إطلاقًا إن كان كل لاعب قد أدَّى دوره المحدَّد له، ولكن المدرِّب يعلَم جيدًا، وهذا سوف يُستَعلَن على الشّاشة عند رؤية الڤيديو. نحن أيضًا المُؤمنين لنا مدرِّب، وقد أنذرنا مُسبقًا أنَّه سوف يأتي يومٌ تُعاد فيه قصَّة الحياة، سوف تَظهَر الأعمال الجيّدة والأعمال الرديئة كاللعبات الجيِّدة واللعبات الرديئة. المُدَرِّب نفسه سيكون في اليوم الأخير هو القاضي. فلماذا إذًا لا نبدأ الآن أن نؤدِّي دورنا في الحياةِ، لا لإشباع رغبة المشاهدين، ولكن لِمُشَاهِدٍآخَرَ: المسيح الحيّ، المُدَرِّب الأعظم، والديَّان الوحيد؟

٢) لا يوجد بالطبع أحدٌ كامل، وبالتأكيد توجَد أدوار رديئة في حياتنا كما توجد أدوار جيّدة، ولكن يجب ألَّا يعوقنا هذا أو يُثبط من همَّتنا. قد يلعب الفرد لعبة رديئة في كرة السّلة ويُخطيء الهدف، ولكن برمية أخرى يُمكن إعادة الكرة إلى السَّلة. يُقال إنّ أغلَب المباريات الفائزة إنّما هي ناتجة عن عودة رميات مُرتَدَّة. لا يختلف هذا الأمر أبدًا عن حياتنا اليوميَّة، ولكن بتغيير واحد، وهو أنَّ الكُرة المُرتَدَّة وإعادتها للسلَّة تعني في حياتنا المسيحيّة: «التوبة والتعويض».

٣) وبالإضافة إلى واجب أن نعيش حياتنا للمسيح ونقضي أيَّامنا بالتوبة، فإنَّه يلزم أن نُعدّ أنفسنا أيضًا للمجيء الثاني بممارسة المحبّة. وهذه بلا شك أعظم وصيَّة أعطانا إيَّاها الله. نحن نتعامل في حياتنا اليوميَّة مع آخرين، وآخرون يتعاملون معنا، ولكن بجوار كل واحد منهم – كما يقول يسوع – يقف الله. كل ما نعمله مع واحد منهم إنَّما هو مع الله. إنّ الله صار أخانا، ليس فقط بأنَّه أَخَذَ على نفسه خطايانا، بل أيضًا بمماثَلته لكل واحد منا، فهو يلاحظ احتياجاتنا وخيرنا ومصالحنا كما لو كانت تخصّه هو ذاته. إيُّ استعداد لمجيئه يكون أفضل من هذا؟ بأن نتعامل معه بالحُب عندما يأتينا كل يوم في شخص رفقاء بشريّتنا. يقول يسوع: إنّ مقياس دينونتنا الحقيقي سوف يكون بمقياس محبَّتنا لرفقائنا: «كنتُ جوعانًا فاطعمتموني» (مت٢٥:٣٥).

سأل شخصٌ ما رجلًا مسيحيًا وقال له: «متى تظُن أنّ المسيح يأتي ثانية؟» أمَّا الإجابة فكانت: «لا أظُن أنَّه الآن هو بعيد». الحقيقة هي أنَّ المسيح هو هنا الآن، فمن خلال الصلاة نحن نتحدّث معه، من خلال كلمته المقدّسة في الإنجيل هو يتكلّم معنا، ومن خلال سرّ الشركة المقدَّس هو يأتي إلينا ويُقيم مسكنه في قلوبنا. يمكننا أن نختار أن نعيش بقُربٍ شديد منه، وعندئذٍ سوف يكون مجيئه الثاني امتدادًا واكتمالًا لحضوره. إنَّ واجب كل مسيحي الشخصي تجاه المجيء الثاني هن أن يُتمِّم فعل التسليم والطَّاعة الكليَّة للمسيح، وهذا بدوره سوف يُؤكِّد حضور المسيح الشخصي في حياتنا الآن.

**الخاتمة:** يوجَد على سطح كنيسة في مدينة نيويورك تمثالٌ لرئيس الملائكة جبرائيل وبوقٌ مرفوعٌ في فمه وهو مُستَعِد بنفخَة مُدوِّية أن يُعلن مجيء الرب الثاني في مجده. كان البوق يُستخدَم في أيَّام كتابة الإنجيل ليُعلِن وصول ملك عظيم أو ليُعلن انتصارًا هائلًا. يومًا ما فإنَّ هذا البوق وبصحبة أبواق أخرى لا حصر لها، سوف تُعلن، بأعلى صوت وأقوى دَويٍّ سَمِعته أُذن، المجيء المجيد لربنا، ونصرته على الخطيئة والموت والشرّ، ولتأسيس ملكوته الأبدي.

يدعونا القانون النيقاوي لنحيا هذا الإيمان. ينبغي أن: «ننتظر الرجاء المبارك والظهور المجيد للإله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح» (تيطس٢:١٣).

خَتَمَ مجلس الكنائس العالمي اجتماعه الثاني بهذه الرسالة الرنّانة: «لسنا نعلم ماذا سوف يأتي، ولكننا نعلَم مَن الذي سوف يأتي، إنَّه ذاك الذي يقابلنا كل يوم، والذي سوف يقابلنا عند نهاية الأيام، ربنا يسوع المسيح، لذلك نقول لكم اليوم: إفرحوا في الرجاء!».

ونختم حديثنا بخصوص المجيء الثاني بهذه الكلمات المُلهمة **للقديس أفرام السرياني**: «أي بهجة هذه التي لا توصف التي سوف نَعرفها عندما يقول لنا الملك بفرحٍ شديد: «تعالوا يا مُبارَكي أبي رِثوا الملكوت المُعَدّ لكم منذ تأسيس العالم» عندئذٍ يا إخوتي سوف تنالون السلطان الرائع وإكليل كل مشتهياتكم من يد الربّ. ثمَّ تملكون عندئذٍ مع المسيح إلى الأبد وإلى أبد الآبدين، وتنالون العطايا التي وَعَدَ الله بها أولئك الذين يحبُّونه ويخدمونه، وتكونون في مأمنٍ مِن كل ضَرر، وتنتهي الهموم.لن تكون لكم شمسٌ في النهار لتضيء لكم، ولا القمر في الليل، لكن سوف يكون لكم المسيح نوركم الذي لا يخفت ويكون الله مجدكم».

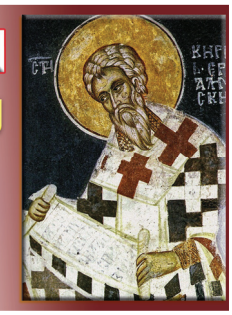

# العظة الرابعةَ عشرةَ

## «... وقام من بين الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب» – تتمة

### ١٠– .... ويحدّد فصل السنة

في أي فصل قام المسيح؟ هل في الصيف أم فصل آخر؟ وَرَدَ في سفر الأناشيد قليلًا قبل ما ذكرناه: «إن الشتاء قد مضَى والمطر فات وزال؛ «قد ظهرت الزهور في الأرض ووافى أوان القَضْبِ» (نشيد ٢: ١١–١٢). أليست الأرض الآن مليئة بالزهور، ألا يقضب الكرمة الكرّامون؟ ترى كيف أنه يقول إن الشتاء قد مضَى! لأنّ هذا الشهر هو شهر نيسان، فإذن هو الربيع. في هذا الشهر يقع الأول عند اليهود الذي يحتفلون فيه بعيد الفصح الرمزي، ونحتفل فيه الآن بالفصح الحقيقي؛ إنه فصل خلق العالم، إذ قال الله: «لتنبت الأرض نباتًا عشبًا يبزر بزرًا بحسب صنفه وشبهه» (تك١: ١١). والآن كما ترى ينبت العشب. وكما أن الله صنع آنذاك الشمس والقمر، فقد جعلهما يحكمان الليل والنهار في أوقات متساوية. وهكذا كان هذا الوقت قبيل الاعتدال الربيعي. فقال الله عندئذٍ: «لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا» (تك١: ٢٦). أخذ آدمُ «على صورتنا»، لكنه شوّه «كمثالنا»، وأفسد الشبه بالعصيان. وفي الوقت الذي فيه أضاع آدمُ الفردوس، في نفس الوقت حصل بالإيمان على الفداء. في نفس الفصل الذي طُرِدَ فيه الإنسان المخلوق، من الفردوس، بسبب المعصية، رجع إليه الإنسان المؤمن بسبب طاعته. فالخلاص حصل إذن في نفس الوقت الذي تمّ فيه السقوط، في الوقت الذي ظهرت فيه الزهور، ووافى أوان القَضْب.

### ١١– القيامة تحدث في بستان: شهادة الكتاب في هذا الصدد

كان القبر في بستان، والكرمة التي غُرسَت فيه، قالت: «أنا الكرمة» (يو١٥: ١). غُرِسَت في الأرض لكي تقتلع اللعنة التي حلّت بآدم، وبسببها حُكم على الأرض بأن تنبت شوكًا وحسكًا. لقد نبتت الكرمة الحقيقية من الأرض، ليتمّ ما كُتب: «الحقّ من الأرض نبت، والعدل من السماء تطلّع» (مز٨٤: ١٢). وماذا يقول هذا الذي دُفن في البستان؟ «قطفت طيبي مع مرّي» (نشيد ٥: ١). ؛ وأيضًا: «مرّ وعود مع أنفس الأطياب» (نشيد ٤: ١٤). كل ذلك كان علامات لدفنه. وقد جاء في الإنجيل: «وجاءت النساء الى القبر يحملن الحنوط الذي أعددنه» (لو٢٤: ١)؛ «وأقبل أيضًا نقودِمس ومعه خليط من المرّ والعود» (يو١٩: ٣٩).وكتب كذلك: «أكلت خبزي مع عسلي» (نشيد ٥: ١). فما هو مرّ كان في الآلام، وما هو عذب أتى بعد القيامة. ولما قام من بين الأموات، دخل على التلاميذ والأبواب مغلقة (يو٢٠: ١٩). لكنهم لم يؤمنوا، وظنّوا أنهم يرون روحًا (لو٢٤: ٣٧). فقال لهم: «جسّوني وأنظروا» (لو٢٤: ٣٩). ضعوا أصابعكم في موضع المسامير، كما فرض توما ذلك. «وإذ كانوا بعد غير مصدِّقين من الفَرَح، منذهلين، «قال لهم: هل عندكم ههنا طعام؟ «فقدّموا له قطعة من السمك المشوي، وشهد عسل» (لو٢٤: ٤١–٤٢). أترى كيف تحققت هذه الكلمة: «أكلت خبزي مع عسلي»؟

### ١٢– تنويه نشيد الأنشاد ببحث مريم عن يسوع الناهض

ولكن قبل أن يدخل والأبواب موصدة، كانت النساء النبيلات، الشُجاعات يبحثن عن عريس النفوس وطبيبها. تلك الطوباويات أتين إلى القبر يبحثن عن الذي قام؛ وكانت الدموع تسيل من عيونهنَّ، مع أنه كان من الأولى لهن أن يرقصن فرحات من أجل الذي قام. وبحسب الإنجيل، جاءت مريم (المجدلية) تبحث، فلم تجد أحدًا. وسمعت بعد ذلك الملائكة، ثم رأت المسيح (يو ٢٠: ١١ – ١٦). هل سبق أن كتب عن ذلك؟ نقرأ في نشيد الأنشاد: «على مضجعي التمست من يحبّه قلبي». ي أية لحظة؟ «في الليالي على مضجعي التمستُ من يحبّه قلبي» (نشيد ٣: ١)؛ ويقول الإنجيل: «غدت مريمُ إلى القبر والظلمة ما برحت بعد» (يو٢٠: ١). «في الليالي على مضجعي التمست من يحبه قلبي. بحثت عنه فلم أجده» (نشيد ٣: ١)؛ وفي الإنجيل تقول مريم: «أخذوا سيّدي ولا أدري أين وضعوه» (يو٢٠: ١٣). ولكن الملاكَين كانا عندئذ هناك لإطلاعها على حقيقة الأمر، إذ قالا لها: «لِمَ تطلبين بين الأموات مَن هو حي«؟ (لو٢٤: ٥). إنه لم يقُم فحسب، بل أقامَ الأموات. ولكنها لم تفهم، فقالت للملاكَيْن ما جاء في سفر الأناشيد عن ذاتها: «أرأيتم من تحبّ نفسي؟ فلما تجاوزتُهم قليلًا، وجدتُ من تحبه نفسي، فأمسكته ولست أطلقه» (نشيد٣: ٣–٤).